الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

أطروحة دكتوراه في التاريخ

تخصص: التاريخ السياسي و الثقافي للمغرب الإسلامي

المؤسسات العلمية المرينية و السعدية

- دراسة تاريخية ثقافية –

إعداد الطالب :

عبد الله طويلب

إشراف الأستاذ الدكتور:

بودواية مبخوت

لجنة المناقشة :

اللقب و الإسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	تلمسان	رئيسا
أ.د. بودواية مبخوت	أستاذ التعليم العالي	م.ج. النعامة	مشرفا و مقررا
أ.د.ة. فاطمة بلهواري	أستاذ التعليم العالي	وهران 01	عضوا مناقشا
د. مكيوي محمد	أستاذ محاضر - أ-	تلمسان	عضوا مناقشا
د. قدور وهراني	أستاذ محاضر - أ-	تلمسان	عضوا مناقشا
د. دريس بن مصطفى	أستاذ محاضر - أ-	سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1437-1438 هـ / 2017-2018 م

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى من كان له الفضل في نجاحي

إلى والدي العزيز رحمه الله

إلي أمي التي سهرت على تربيتي و ظلت تساندني أطال الله في عمرها

إلى إخوتي حسين و لحسن و حمزة

و أخواتي زينب و مريم

و إلى إبراهيم و زيد

شـــكـــــر و عـرفـان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور

مبخوت بودواية ، الذي كان موجها و مرشدا لي طوال مرحلتي

الماجستير و الدكتوراه ، بفضل نصائحه التي أسهمت في إنجاز هذا

العمل ، كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني، خاصة أساتذة قسم

التاريخ جامعة تلمسان، و إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على

تفضلهم بمناقشة هذه الأطروحة و تعبهم و سهرهم على قراءة

وتصويب هذا العمل

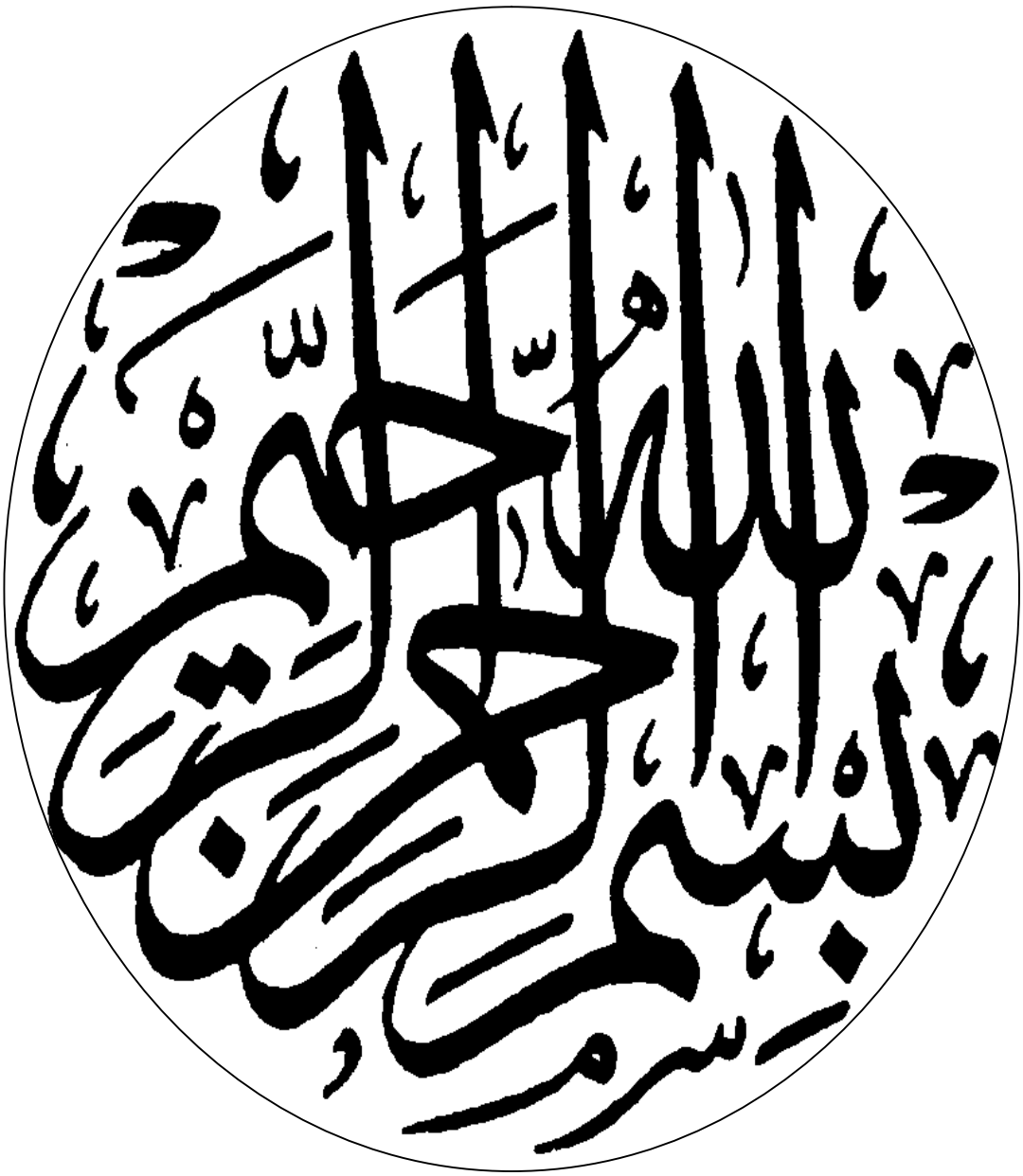
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تمتعت بلاد المغرب الاسلامي بتراث حضاري زاخر عقب الفتح الإسلامي، مثل باقي أقطار العالم الإسلامي، و لا تقل الآثار العلمية و الفنية الموجودة في بلاد المغرب شأنا عن غيرها في بلاد الشام و مصر و العراق.

و كان لبلاد المغرب الأقصى الحظ الوافر من هذا الزخم الحضاري الذي برز في بلاد المغرب، خاصة في العصرين المريني و السعدي، إذ يرجع ذلك إلى الاستقرار السياسي الذي سادها خلال فترة حكم بني مرين، و كذلك لأن المغرب الأقصى كان حلقة وصل بين بلاد الأندلس و باقي حواضر المغرب الإسلامي.

إن القرب الجغرافي بين الأندلس و الدولة المرينية ساهم في استقرار جزء كبير من المهاجرين الأندلسيين في رحاب دولة بني مرين، إضافة إلى القوة السياسية والاقتصادية لهذه الدولة ، و كذلك اهتمام السلاطين بهذه الفئة و الاستفادة منهم في مختلف نواحي الحياة، مما انعكس إيجابا على الحياة الفكرية.

في عهد الدولة السعدية ساهمت حركة الجهاد ضد النصارى المحتلين (الإسبان و البرتغال) في اهتمام السلاطين السعديين بإنشاء المساجد و المدارس من أجل حماية المقدسات الإسلامية و تحفيز الرعية على الجهاد في سبيل الله، كما انتشرت أيضا الزوايا التي ساهمت أيضا في حركة الجهاد، و بعد استقرار الأوضاع السياسية في الدولة السعدية تحولت هذه المؤسسات إلى مراكز تعليمية أنتجت حركة فكرية نشطة.

يعتبر التعليم جانب مهم في حياة الدول، لذلك اهتمت الدولتان المرينية والسعدية به، و ذلك من خلال المؤسسات التي أنشأت من قبل السلاطين، إذ نجد أن المساجد و المدارس عرفت انتشارا واسعا، حتى صارت فاس عاصمة بني مرين

مدينة علمية و فكرية لكثرة المدارس فيها، و كذلك الأمر بالنسبة للدولة السعدية التي حافظت على ما بناه المرينيون، و أضافوا عليه خاصة في مدينة مراكش التي ضمت لوحدها أربع مساجد جامعة بنيت من قبل السعديين و مدارس ملحقة بها.

لقد عرفت الزوايا اهتماما كبيرا في العهد السعدي، فقد قام العديد من العلماء والصلحاء بإنشاء عدة زوايا كانت في بداية الأمر مراكز للعبادة والمرابطة، ثم تحولت فيما بعد إلى أماكن تعقد فيها الدروس و تأوي طلبة العلم الوافدين من كل الحواضر المغربية.

إن الدراسات الحديثة التي تطرقت إلى موضوع المؤسسات العلمية قليلة، و جلها كانت من قبل المستشرقين مثل جورج مارسيه الذي قام بدراسة الآثار الإسلامية في بلاد المغرب، لذلك حاولنا البحث في موضوع المؤسسات العلمية المرينية و السعدية.

من الدوافع التي جعلتنا ندرس هذا الموضوع، أن المجال الذي أبحث فيه هو التاريخ السياسي و الثقافي في المغرب الإسلامي لذا ارتأيت مواصلة البحث في نفس التخصص خاصة أن موضوع مذكرة الماجستير كان حول العلاقات الثقافية للدولة المرينية مع دولة بني نصر في الأندلس.

و من أجل البحث في هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية: تعتبر المساجد و المدارس و الزوايا مراكز تعليمية ضرورية من أجل نهضة فكرية، فهل حققت هذه المؤسسات دورها في العصر المريني و السعدي؟. و تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات هي:

- ماهي هذه المؤسسات العلمية؟

- كيف ساهم السلاطين و الملوك في تطوير هذه المراكز العلمية؟

- أشهر العلماء الذين ساهموا في تدريس بهذه المنشآت التعليمية؟

- ماهي أهم الخصائص التي طبعت عمارة هذه المؤسسات خلال العصرين المريني و السعدي؟

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة منهجية تتكون من مقدمة و خمسة فصول و خاتمة و ملاحق و بيبليوغرافيا.

فالمدخل احتوى على الواقع السياسي ببلاد المغرب خلال الفترة الموحدية لأن بني مرين هم من خلفوا الموحدين بعد سقوط دولتهم سنة 1269م بالمغرب الأقصى.

الفصل الأول: تطرقنا فيه للأوضاع السياسية في الدولة المرينية والسعدية، لأن الجانب السياسي ضروري من أجل فهم أوسع للواقع الثقافي، و التأثير الكبير الذي كان للواقع السياسي على تطور المؤسسات العلمية، و ضم مبحثين الأول حول الوضع السياسي في الدولة المرينية و الثاني حول الوضع السياسي في الدولة السعدية.

الفصل الثاني: تناولنا فيه المساجد في الدولتين باعتبار المساجد والجوامع النواة الأولى في الحركة الثقافية، و انطلاقا من الدور الكبير الذي كان لها كمراكز للعبادة و كمراكز للتعليم و التدريس و جاء هذا الفصل في مبحثين، الأول خاص بالمساجد المرينية و الثاني ضم المساجد السعدية.

الفصل الثالث: قمنا بدراسة المدارس، و هي المؤسسة العلمية الثانية التي كان لها النصيب الأكبر من حيث الاهتمام و التأثير، و انقسم هذا الفصل إلى مبحث حول المدارس المرينية و مبحث خاص بالمدارس السعدية.

الفصل الرابع: يضم مبحثين حول الزوايا و المكتبات، الأول في عصر الدولة المرينية و الثاني في عهد الدولة السعدية، إذ شكلت الزوايا خاصة في العهد السعدي مراكز علمية نشيطة ساهمت في الحركة العلمية ببلاد المغرب، وكذلك الأمر بالنسبة للمكتبات التي احتوت على آلاف الكتب في مختلف العلوم.

الفصل الخامس: حاولت من خلال هذا الفصل دارسة أشهر العلماء الذين برزوا في مختلف العلوم، من خلال مبحثين أولهما علماء بني مرين و ثانيهما علماء دولة السعديين. و أخيرا خاتمة احتوت على جملة النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراسة الموضوع، ثم مجموعة من الملاحق التي جاءت مكملة لهذا البحث و قائمة البيبليوغرافيا والفهارس.

من أجل دراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي، من خلال ذكر التطور التاريخي لهذه المؤسسات، و المنهج الوصفي الذي ساعدنا في وصف المؤسسات العلمية مركزين على نمطها المعماري و منشآتها الملحقة، إضافة إلى المنهج الاستنتاجي الذي مكننا من دراسة هذه المؤسسات تاريخيا وثقافيا و الوصول إلى مجموعة من النتائج.

اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع المتعلقة بالموضوع، والتي جاءت متنوعة من مخطوطات و مصادر، و دراسات حديثة و مقالات وغيرها، إذ سنقوم بدراسة أهم المصادر و المراجع المعتمد عليها.

أولا: المصادر:

- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** لصاحبه أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ) و هو من المصادر المهمة خاصة تاريخ الدولة السعدية، فهو يعطينا معلومات دقيقة لأنه اعتمد على مصادر عاشت في الفترة المدروسة.

- **الذخيرة السنية في الدولة المرينية** لمؤلفه ابن أبي زرع (ت بعد عام 741هـ) و هو مصدر مهم باعتبار أن صاحبه كان ممن عايش الأحداث الواردة فيه، خاصة عهد السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، كما أنه يعطينا النسب الحقيقي لبني مرين.

- **نيل الابتهاج بتطريج الديباج**: لصاحبه أحمد بابا التبكتي (ت 1036هـ) وقد وضع هذا الكتاب ليكون ذيلا علة كتاب الديباج المذهب لبن فرحون المتوفى سنة 799هـ، و الكتاب يضم تراجم لأكثر من ثمانمائة عالم وفقيه، عاشوا في عصره أو في العصور السابقة، و تكمن أهمية الكتاب أن صاحبه قد عاش في فترة ازدهار الدولة السعدية إبان حكم أبو العباس أحمد المنصور الذهبي.

- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** لصاحبه محمد الصغير الإفراني (ت 1157هـ) فهو من التآليف المهمة حول تاريخ الدولة السعدية، بداية من ذكر نسبهم إلى أولية دولتهم وصولا إلى حكم أحمد المنصور و انتهاء ببداية حكم الأشراف العلويين كما اهتم أيضا بالتفصيل حول تاريخ الزاوية العياشية و الدلائية.

- **المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، لأحمد بن القاضي (ت 1025هـ) و هو من أشهر العلماء في العهد السعدي، ألف هذا الكتاب عرفانا لجميل السلطان أحمد المنصور الذي فداه من الأسر، إذ نجد في هذا الكتاب كل ما

يتعلق بحياة السلطان أحمد المنصور السعدي، فقد كان مقربا من السلطان مما جعل هذا الكتاب مصدر مهما جدا حول تاريخ الدولة السعدية من كل الجوانب.

- **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية لمؤلف مجهول،** إذ جاء فيه تفصيل للحوادث المتعلقة بتاريخ السعديين، خاصة في عهد خلفاء المنصور السعدي محمد الشيخ و المأمون، حيث نجد فيه بعض التفاصيل التي لم يرد ذكرها في مصادر أخرى.

- **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** لمؤلفه محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني (ت 986هـ) يحتوي هذا المخطوط على عدد من العلماء و المشايخ الذين عاصروا المؤلف، فهو يعطينا صورة واضحة حول علماء و شيوخ المغرب الأقصى في عصر الدولة السعدية، بالرغم من عدم ضبطه لتواريخ وفاة المترجم لهم.

- **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس،** لصاحبه أحمد بن محمد المقري (ت 1041هـ) عبارة عن كتاب للتراجم يحوي جملة من علماء المدينتين مراكش و فاس، و قد أفرد بابا كاملا للحديث عن السلطان أحمد المنصور، لأنه كان مقربا من البلاط السعدي، لذلك يعتبر هذا الكتاب مصدرا ضروريا للبحث في التاريخ السعدي خاصة في مجال الحركة العلمية و الفكرية.

كما اعتمدنا على مصادر أخرى من كتب التراجم و الرحلات، إضافة إلى مراجع نذكر منها :

- **ورقات عن حضارة المرينيين** ، تأليف محمد المنوني المؤرخ المغربي الذي اعتنى بالتاريخ المريني ، و الكتاب فيه إلمام شامل بالوضع الثقافي في العصر المريني ، خاصة ما تعلق بأصناف العلوم و أشهر التآليف و العلماء البارزين في ذلك العصر ، كما تناول الفكر المريني بمختلف تجلياته .

- **تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى** ، لمؤلفه عثمان اسماعيل عثمان ، هو كتاب أثري جاء في خمسة أجزاء درس من خلالها العمارة عبر عصورها المختلفة ، فكان الجزء الرابع عن العصرين المريني والوطاسي، و الخامس عن الدولة السعدية و العلوية ، تتمثل أهمية الكتاب في لأنه جاء عن دراسة ميدانية لكل المنشآت العمرانية المغربية بكل تفاصيلها حتى التاريخية ، لكن ما يعاب عليه أنه اقتصر على العمارة الباقية فقط دون ذكر للعمران الذي لم يعد موجودا .

-العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين ، لصاحبه محمد السيد أبو رحاب ، هو أيضا كتاب أثري عالج كل البنايات الدينية في المغرب السعدي ، و احتوى تفاصيل دقيقة في هذا الجانب ، و استفدت منه كثيرا خاصة أنه تطرق إلى بعض المساجد و المدارس التي لم يدرسها سابقوه .

-الدولة السعدية آليات التطور و مظاهر التدهور ، لصاحبه عبد الله الحاجي ، هو دراسة للدولة السعدية منذ نشأتها بزاوية تيدسي يسوس ، كما أنها تطرق إلى زاوية تيدسي تاريخيا و عمرانيا باعتبارها المكان الذي انطلقت من الدعوة السعدية ، و الدور الذي كان لهذه الزاوية في الجهاد ضد البرتغاليين .

هناك مراجع أخرى لا تقل أهمية عن هذه ، من أطروحات و رسائل جامعية ومقالات متنوعة في مجلات مختلفة ، منها مجلة دعوة الخق المغربية الذي ضمت عديد المقالات أهمها مقالين لعبد الجواد السقاط حول الزاوية المغربية في العصر السعدي و مقال للحمداوي محمد تحت عنوان من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية .

من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، هو الاختلاف الذي وقعت فيه المصادر التاريخية في تحديد بعض التواريخ، خاصة فيما يخص تراجم العلماء، كما أن الدراسات الحديثة حول المؤسسات العلمية جلها ترتكز على الجانب الأثري والعمراني أكثر.

مدخل

تعد دولة الموحدين[1] من الدول العظيمة التي قامت في بلاد المغرب على مدار التاريخ الإسلامي، حيث استطاعت توحيد بلاد المغرب بأقسامها المختلفة من برقة شرقا إلى البحر المحيط غربا، و من سواحل البحر الرومي إلى مشارف إفريقية المدارية جنوبا، بالإضافة إلى سيطرتها على بلاد الأندلس[2]، وكان لها إسهاماتها الحضارية في جميع الميادين، إلى أن أطل القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي لتبدأ مرحلة جديدة و فصل جديد من فصول التاريخ المغربي المتمثل في الدول المستقلة الزيانية والحفصية و آخرها دولة بني مرين سنة 668 هـ/ 1269 م على أنقاض الدولة الموحدية التي انهارت بفعل العوامل التالية :

1 يعتبر المهدي بن تومرت (ت 524 هـ/ 1130 م) الزعيم الروحي و المؤسس الفعلي لهذه الدولة ، إذ بدأ بالدعوة إلى قيامها سنة 515 هـ/1121 م . عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي ، القاهرة 1949 ، ص 178. ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط 1972 ، ص 176 .

1 Atallah Dhina , Les États de l’occident musulement aux 13,14,15 siècle , opu-enal , Alger 1984, p 100.

2 عبد الواحد المراكشي ، المصدر نفسه ، ص 230 .

- **أولا :** ضعف الجبهة الداخلية الموحدية و تعرض أمنها الخارجي للخطر والتهديد، فقد تمرد بنو غانية[1] أمراء ميورقة[2] على الدولة، وأجازوا البحر في أساطيلهم إلى بجاية[3] و استولوا عليها سنة 581هـ / 1185م في أيام حكم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف(580-595 هـ/ 1184- 1198 م) و خلعوا طاعة الموحدين ودعوا للخلافة العباسية ببغداد، و لما تولى الحكم الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور (595-610 هـ / 1198- 1213 م) ازداد خطرهم مما مكنهم من الاستيلاء على كثير من مناطق المغرب الأقصى، وقد أدى ذلك إلى استنزاف قدر كبير من الإمكانيات المادية و البشرية للدولة الموحدية في سبيل مواجهتهم[4].

---

1 بنو غانية ، أسرة من القادة المرابطين اشتهرت بالمغرب و الأندلس ، و حينما انهارت دولة المرابطين استولوا على الجزائر الشرقية (أكبرها ميورقة) فأقاموا بها دولة مستقلة ، و لم تتخلص الدولة الموحدية من شوكتهم إلا عندما قام الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بسحقهم سنة 606 هـ/ 1209 م . لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان ، ج1 ، دار المعارف ، القاهرة 1956 ، ص 311 .

2 ميورقة جزيرة تقع شرقي الأندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة ، و سقطت بيد الإسبان سنة 627هـ/1230 م . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، دار صادر، بيروت 1977، ص 246 . عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت 1975، ص567 .

3 بجاية هي مدينة عظيمة على ساحل البحر، و البحر يضرب في سورها، تقع بين إفريقية والمغرب، وتسمى الناصرية أيضا ، و هي من المدن المزدهرة تجاريا و زراعيا و صناعيا . مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986، ص 128 . ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 339 . الحميري ، المصدر السابق ، ص81 .

4 ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، المطبعة المصرية ، بولاق 1284 هـ ، ص ص 20-21 .

تعرضت المدن المغربية الساحلية لهجمات عسكرية من جانب الممالك النصرانية[1] الإسبانية و الجنوية[2]، فقد شدد الجنويون الحصار على سبتة[3] ونصبوا عليها المجانيق حتى اضطر أهلها إلى مهادنتهم سنة 633 هـ/1235 م على أربعمائة ألف دينار[4] .

في سنة 649 هـ/1251 م عبر فرناندو الثالث[5] (1230-1252 م) ملك قشتالة البحر لغزو بلاد المغرب حيث أحرز انتصارا بحريا على المغاربة، لكنهم عاودوا الهجوم سنة 658 هـ /1259 م على سبتة فدخلوها و خربوها[6]، وفي نهاية عهد دولة الموحدين بالمغرب و تحديدا سنة 668 هـ/1269 م هوجم حصن

1 محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين ، ج4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2002 ، ص 250 .

2 جنوة قديمة و أزلية البناء ، على مقربة من نهر صغير ، أهلها تجار و بحارون . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2 ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت 1989 ، ص 749 .

3 سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، و مرساها أجود مرسى على البحر ، و هي تقابل الجزيرة الخضراء ، و البحر يحيط بها شرقا و جوفا و قبلة ، و ليس لها إلى البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعوه . الحموي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 182 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 303 . مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ص 137 .

4 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 244 .

5 فرناندو الثالث، تولى حكم مملكة قشتالة عقب وفاة والده ألفونسو التاسع سنة 1230 م ، واستطاع الإستيلاء على الكثير من قواعد الأندلس مثل قرطبة و جيان و إشبيلية ، توفي سنة 1252 م و دفن بإشبيلية . عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 45 .

6 ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 178 .

العرائش[1] ، ثم قاموا بالهجوم على حصن تشمس[2] فقتلوا الرجال و سبوا النساء وصادروا الأموال[3]

- ثانيا : الصراع على السلطة و استبداد الوزراء و سوء تصرف الشيوخ : ويعد ذلك من أبرز ملامح المرحلة التي أعقبت هزيمة معركة العقاب[4] سنة 610 هـ/1212 م ، خاصة منذ وفاة الخليفة محمد الناصر بن المنصور الموحدي سنة 610 هـ /1213 م[5] الذي كان يسيطر عليه وزيره أبو سعيد بن جامع[6] .

خلف الناصر ولي عهده و خليفته يوسف المنتصر (610-620 هـ/1213-1223 م) و كان عمره حينذاك ستة عشر سنة[7]، فاستبد ابن جامع بالدولة بينما انشغل الخليفة باللهو و الانغماس في الملذات[8] و نظرا لضعفه فقد كانت أوامره لا

1 حصن العرائش ، يقع على شاطئ الأطلسي ، عند مصب نهر اللوكس جنوبي طنجة . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 302 .

2 تشمس ، مدينة قديمة بالمغرب ، عليها سور قديم ، بينها و بين البحر المحيط نحو ميل جنوبي طنجة . الحموي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 32 . الحميري ، المصدر نفسه ، ص 141 .

3 محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج4 ، ص 96 .

4 العقاب موضع بالأندلس بين جيان و قلعة رباح، و عند ابن خلدون حصن العقبان، و تسمى معركة العقاب في المصادر الأجنبية لاس نافا دي تولوزا (Las Navas de Tolosa) . الحميري ، المصدر السابق ، ص 416 . ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 249 . عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 739 .

5 ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 169 .

6 أبو سعيد بن جامع ، لم يكن شريف النسب في الموحدين ، و لما ولي حجابة محمد الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين و يهين أهل الشرف ، فيهم حتى فر من بلاط الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو و رجل يعرف بابن منشأ . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 236- 237. ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 250 .

7 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص 323 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 49.

8 المقري ، المصدر السابق ، ص 117 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، 226 .

تطاع، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه دون الرجوع للخليفة[1]، ويقول ابن خلدون عن ذلك: " فضاعت الثغور و ضعفت الحامية و تهاونوا بأمرهم و فشلت ريحهم"[2].

عندما هلك المنتصر[3] اختار ابن جامع أبا محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمخلوع (620-621 هـ/1223-1224 م)[4] فتمرد أبو محمد محمد عبد الله يعقوب بن المنصور (توفي سنة 624 هـ) في مرسية على السلطة الجديدة و تسمى بالعادل و ذلك سنة 621 هـ /1224م، و قد ساعده في ذلك كره الناس للوزير ابن جامع[5]، مما أفضى إلى حدوث انشقاق في الصف الموحدي، ففي الوقت الذي بويع العادل من إخوته أبو العلاء صاحب قرطبة و أبي الحسن صاحب غرناطة و أبي موسى صاحب مالقة و أبي محمد بن عبد الله المعروف بالبياسي صاحب جيان .

1 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 224 .

2 ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ض 169 .

3 توفي الخليفة المنتصر إثر تعرضه لطعنة في صدره من بقرة هائجة في إحدى مزارعه بمراكش، حيث كان مولعا بتربية الحيوانات . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 228 .

4 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 251 .

5 عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 333 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 224 القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 192 .

فقد تمسك كل من عبد العزيز شقيق المخلوع و أبي زيد بن عبد الله شقيق البياسي الذي كان حاكما على كل من إقليم بلنسية[1] و شاطبة[2] ودانية[3] بطاعة المخلوع[4] .

و عندما رأى أبو محمد البياسي أخاه أبا زيد قد تمرد على العادل وتمسك بطاعة المخلوع، توقف عن بيعة العادل و ثار ببياسة قرطبة وجيان و قيجاطة[5] وحصون الثغر الأوسط[6] و تلقب بالظافر[7]، حاول العادل قمع هذا التمرد فتحالف فتحالف البياسي سنة 622 هـ / 1225 م مع ألفونسو التاسع ملك ليون (ت 1230 م) على أن يتنازل له عن بياسة وقيجاطة[8].

1 بلنسية تقع في شرق الأندلس بينها و بين قرطبة ستة عشر يوما ، و هي قاعدة من قواعد الأندلس، على ضفة بحر الروم ، و تعرف بمدينة التراب ، و تتبع لها عدة مناطق . عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تعليق إ.ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت 1988 ، ص 47 . الحموي ، المصدر السابق ، ج2، ص 386

2 شاطبة ، تبعد إثني عشر ميلا عن جزيرة شبر ، و هي مدينة حسنة و حصينة ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 556 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 337 .

3 دانية ، على البحر عامرة حسنة ، لها ربض عامر و سور حصين ، من أعمال بلنسية على ساحل البحر شرقا ، مرساها عجيب يسمى السمان . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 76 . الحموي ، المصدر نفسه، ج 2 ، ص 434 .

4 الناصري ، المصدر السابق ، ص 230 .

5 قيجاطة مدينة بالأندلس من عمل جيان ، ينسب إليها محمد ابن الوليد القيشاطي الأديب و كان معلم العربية . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 196 . الحموي ، المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 422 .

6 حصون الثغر الأوسط هي حصون طليطلة و أعمالها. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 17 .

7 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 206 .

8 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، 168 .

فكان أول من سن إعطاء الحصون و البلاد للروم في دولة الموحدين[1] .

لم يدم حكم المخلوع سوى شهرين و قتل بأمر من الخليفة العادل في رمضان سنة 621 هـ / 1224 م، فكانت هذه سابقة خطيرة إذ كان العادل أول من قام بعمليتي الخلع و القتل معا في تاريخ الدولة الموحدية[2]، و قد لاقى الخليفة العادل المصير نفسه سنة 624 هـ/ 1226 م على يد أبي العلاء إدريس بن يعقوب الملقب بالمأمون (626-629 هـ / 1229-1231م) [3]، و ما كاد أهل الأندلس يبايعونه بإشبيلية حتى ندم الموحدون على ذلك في مراكش فبايعوا يحي بن الناصر بن المنصور و كان سنه حينئذ ستة عشر سنة[4] .

فطلب المأمون مساعدة ملك قشتالة فرناندو الثالث على أن يكون للأخير عشرة حصون و أن تبنى للنصارى كنيسة في مراكش، و إن أسلم أحد من الروم فلا يقبل منه، و إن تنصر أحد من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل، و دخل المأمون مراكش بمساعدة النصارى سنة 626 هـ /1229 م و تم لهم ما اشترطوا عليه[5]

1 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 246 .

2 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، 352 .

3 عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 334 . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 352 . الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 208 .

4 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 148 .

5 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 251 .

و فر يحي بن الناصر خارج مراكش إلى جبل تينمل[1]، و انتقاما من الموحدين ارتكب المأمون بحق أشرافهم و أشياخهم مجزرة شنيعة أتت حتى على صغارهم[2] فقتل منهم أربعة آلاف و ستمائة نفر[3] .

لما هلك المأمون أواخر سنة 629 هـ /1232 م بويع ابنه عبد الواحد الذي تلقب بالرشيد و كان سنه أربعة عشر سنة، و أخذ رجال الدولة البيعة له مثل: كانون بن جرمون السفياني و شعيب بن أوقاريط الهسكوري وفرنسيل قائد كتيبة النصارى في الجيش الموحدي، لم تستقر الأوضاع في دولته إلى أن مات غرقا في صهريج سنة 640 هـ/1242 م[4]، فخلفه أخوه علي بن المأمون بن المنصور الملقب بالسعيد(640-646 هـ/1242-1248م) بتعيين من أبي محمد بن واندوين، و قد أساء السعيد إل شيوخ الموحدين بأن صادر أموالهم لصالحه[5] ، فانشغل خلال حكمه في محاربة بني مرين و بني زيان[6] إل أن قتل سنة 646 هـ على يد بني زيان[7]، فجاء بعده عمر المرتضى و استمر حكمه حتى سنة 665 هـ/

1 تينمل أو تامللت هو حصن منيع على جبل درن جنوب المغرب الأقصى ، و لا يمكن الوصول إليه إلا بصعوبة ، به ظهر المهدي بن تومرت الموحدي ، فزاد في تحصينه و دفن فيه . الإدريسي، المصدر السابق ، ج 1، ص 230 . الحميري ، الروض المعطار، ص 128 . مؤلف مجهول، الإستبصار ، ص 208 .

2 الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 210 .

3 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 252 .

4 ابن خلدون ، العبر، ج 6 ، ص 256. ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص ص 254-255 .

5 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 216 .

6 بنو عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية التي كانت قبائلها تعيش حياة البداوة والترحال ، تجوب صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيها ، تمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية ، وهم ينتمون إلى فرع بني واسين إحدى أهم بطون زناتة. يحي بن خلدون، المصدر السابق ،ج1 ، ص 334 . Atallah Dhina , op.cit, p 43

7 ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، 258 .

هـ/ 1266 م حين نازعه في الأمر أبو العلاء إدريس بن محمد الملقب بأبي دبوس الذي تسمى الواثق بالله، فكان آخر ملوك الموحدين إلى أن قتل على يد بني مرين سنة 668 هـ/ 1269 م فانقرضت بموته الدولة الموحدية[1].

- ثالثا : تعرضت الدولة الموحدية لموجات متلاحقة من الكوارث الطبيعية والبيئية ، كوباء الطاعون الذي عم بلاد المغرب و الأندلس سنة 610 هـ/1213 م، كما اجتاح الجراد بلاد المغرب عامي 617 و 624 هـ/ 1220 و 1226 م فخلف قحطا شديدا، و في سنة 626 هـ/1229 م كان السيل العظيم بفاس و الذي أدى إلى هدم سورها القبلي و منشآت أخرى، وعاد الوباء سنة 635 هـ/ 1238 م فدفن كل مئة شخص في حفرة واحدة، و في سنة 646 هـ/ 1248 م شبت الحرائق في فاس و رافق ذلك كله غلاء شديد في الأسعار و أوضاع إقتصادية بالغة الصعوبة[2]، حيث توقفت الحركة الزراعية و اضمحلت المنشآت الصناعية والعمرانية وكثر الخراب في معظم المدن المغربية[3] .

- رابعا : في عهد المأمون بن المنصور ثار بجبال غمارة سنة 625 هـ/1227 م محمد بن أبي الطواجين المتنبي، ثم ارتحل إلى سبتة و ادعى النبوة[4]، النبوة[4]، وفي سنة 629 هـ/1231 م - في الوقت الذي خرج على المأمون أخوه أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة و تسمى بالمؤيد – قامت قبائل مكلاثة

1 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 258-261 . عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، ج 4 ، ص 32 .

2 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 267 270.

3 عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 94 .

4 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 218 .

بمحاصرة مكناسة[1]، و قام عمران بتسليم سبتة لابن هود الغرناطي مقابل توليته إمارة ألمرية[2].

و ثارت قبائل الخلط بقيادة مسعود بن حميدان في زمن الخليفة الرشيد سنة 632 هـ/ 1234 م و قاموا بالإستيلاء على مراكش مما استدعى جهودا كبيرة من أجل إخماد الثورة، و في سنة 651 هـ/1253 م فر من حاشية الخليفة المرتضى علي بن بدر من بني باداسن، و لحق ببلاد السوس و تحصن ببعض جبالها واستولى على تارودانت[3] و على بعض مناطق بلاد السوس بمشاركة قبائل الشبانات و ذوي حسن من عرب المعقل[4] .

أما على صعيد النزاعات الاستقلالية ففي بداية عهد الخليفة الموحدي المنتصر يوسف بن الناصر أخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص[5] (ت 618 هـ/1221 م) والي الموحدين على إفريقية احتجاجا على صغر سن الخليفة ، و من ثم عاد الحفصيون و بايعوه بعد تدخل الوزير ابن جامع ، فكانت هذه أولى بوادر التمرد الحفصي في المغرب الأدنى على السلطة المركزية، إلى أن

1 مكناسة مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها و بين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق ، و هي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصن جواد، و بينها و بين فاس أربعون ميلا في جهة المغرب. الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 181 . الحميري، الروض المعطار، ص 544 .

2 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 254 .

3 تارودانت قاعدة بلاد السوس في جنوب المغرب الأقصى و أهم مدنها . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2 ، ط2، عالم الكتب ، بيروت 1989 ، ص 227 .

4 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 228-229 .

5 عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص الهنتاتي مؤسس الدولة الحفصية في إفريقية ، ولي تونس من طرف الموحدين سنة 603 هـ / 1206 م إلى أن توفي سنة 618 هـ/1221 م . الزركلي ، المصدر السابق ، ج 4، ص 176 .

جاءت سنة 627 هـ/1230 م حين استبد الأمير أبو زكريا بن الشيح أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي (ت 647 هـ/ 1250 م) بإفريقية و خلع طاعة الموحدين[1]، أما بنوا عبد الواد بزعامة يغمراسن بن زيان[2] فقد استقلوا بالمغرب الأوسط و جعلوا من تلمسان عاصمة لهم (633هـ/1235م) [3]، و في سنة 635 هـ استقل محمد بن يوسف الأحمر (ت671 هـ/1272م) بمملكة غرناطة، فانسلخ بذلك آخر ما تبقى من الأراضي الإسلامية في الأندلس عن الدولة الموحدية[4] .

في سنة 668 هـ /1269 م فتحت مراكش على يد بني مرين و قامت دولتهم في المغرب الأقصى[5]، و بذلك فقدت الدولة الموحدية سيادتها على أراضيها وأملاكها في المغرب و الأندلس، و أفل نجمها بعد أن امتدت سلطتها ما بين الصحراء الكبرى جنوبا و البحر المتوسط شمالا، وما بين الصحراء الليبية شرقا والبحر المحيط غربا، إضافة إلى الأندلس التي امتدت أملاك الموحدين فيها إلى ما وراء الوادي الكبير[6] .

- خامسا : الهزائم المتوالية التي منيت بها الدولة الموحدية على الممالك النصرانية في الأندلس، و أهمها هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة 609 هـ/1212 م في أيام الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور أمام ملك

1 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 203 .

2 ولد يغمراسن سنة 603 هـ/ 1206 م، ولي وبويع يوم توفي أخوه أبو عزة سنة 633 هـ /1236 م، وكان معروفا عند قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه و حصافة رأيه ، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم. ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 162.

3 ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 79 .

4 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 234 .

5 الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 135 .

6 عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 284 .

قشتالة ألفونسو الثامن[1] ، على الأراضي الأندلسية و الذي لم ينسى هزيمة الموحدين له في معركة الأرك[2] سنة 591 هـ/1195 م[3] ذلك أنه عندما بلغ الخليفة الموحدي ما تعانيه الأندلس و أهلها خاصة حصون بلنسية من اعتداءات من النصارى و على رأسهم الملك القشتالي سنة 605 و 606 هـ ، عزم على نجدتها مستعينا بالشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب إفريقية ، إلا أن الأخير رفض ذلك[4] .

و خلال حكم الخليفة الموحدي يوسف المنتصر بن الناصر استولى النصارى على كثير من معاقل المسلمين و مدنهم في الأندلس، ففي سنة 614 هـ/1217 م تلقى المسلمون هزيمة أخرى بقصر أبي دانس غربي الأندلس على يد القشتاليين في حين لم تنفع النجدات الإسلامية التي قدمت من إشبيلية و قرطبة و جيان لفك الحصار عنه، فقام ألفونسو الثامن باقتحام القصر عنوة و قتل جميع من كان به من المسلمين[5] . و كان ذلك بمشاركة ملك البرتغال[6] ألفونسو الثاني[7].

1 عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص ص 87-88 .

2 الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 165 .

3 عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 87 .

4 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 249 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 220 . الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 227 .

5 الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 227 .

6 الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 230 .

7 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 .

و استولى النصارى أيضا على حصن القنطرة[1] فكانت هذه الهزيمة من الهزائم الكبرى التي تضاهي هزيمة العقاب[2] .

بعد ذلك اجتاحت الأندلس موجة عاتية من الغزو النصراني القشتالي والأراجوني فسقطت القواعد الأندلسية الموحدية بيد النصارى تباعا كماردة[3] سنة 626 هـ و جزيرة ميورقة و بطليوس [4] سنة 627 هـ و قرطبة وأستجة[5] والمدور[6] والمدور[6] سنة 633 هـ و بلنسية سنة 636 هـ و مرسية و شلب[7] سنة 640هـ، و و في الأخير سقطت دانية و لقنت[8] سنة 641 هـ.

1 حصن القنطرة أحد الحصون الأندلسية جنوب غرب الأندلس ، و هي من أعمال شنترين . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 553 .

2 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 .

3 ماردة إحدى المدن الواقعة ضمن أحواز قرطبة إلى الغرب منها ، و تبعد عن بطليوس عشرين ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 175 .

4 بطليوس بالأندلس من إقليم ماردة ، بينها أربعون ميلا ، على نهر آنة غربية قرطبة . الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 46 . الحميري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 647 .

5 أستجة تقع جنوب غرب قرطبة ، و بينها مرحلة كاملة ، و معنى هذا الاسم عندهم جمعت الفوائد . الحميري ، الروض المعطار ، ص 53 .

6 المدور حصن منيع بالقرب من قرطبة . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 561 .

7 شلب ، إحدى مدن غرب الأندلس ، تقع غربي قرطبة و بينها و بين شنترين خمسة أيام . الحموي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 151 .

8 لقنت ، مدينة صغيرة عامرة كثيرة الأشجار ، و بها دار لصناعة السفن . الإدريسي، المصدر نفسه ، ج 2، ص 558 .

و هكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية و الوسطى كلها قد سقطت بيد النصارى، و لم يبقى من أملاك الدولة الإسلامية في الأندلس سوى بضع ولايات صغيرة في طرف إسبانيا الجنوبي و التي تسمى مملكة غرناطة .

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في الدولتين.

المبحث الأول: الدولة المرينية.

1. نسبهم وموطنهم:
2. بداية ظهورهم .
3. قيام الدولة المرينية.
4. توسعات بني مرين .

المبحث الثاني : الحياة السياسية في الدولة السعدية.

1. ضعف حكم الوطاسيين.
2. أوضاع منطقة سوس.
3. أصل السعديين.
4. الأسس التي قامت عليها الدولة السعدية.

المبحث الأول : أوضاع الدولة المرينية.

1. نسبهم وموطنهم:

المرينيون فخذ قوي من قبيلة زناتة البترية، فجد المرينيين الأعلى هو: " مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يجفت بن يصليتن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيج بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس ، و هو جالوت ملك البربر، بن رجيج بن مادغس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهم عرب الأصل[1].

و يؤكد انتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زنات ما قاله ابن رشيق: " أصل زناتة من الشام و كانت دارهم بفلسطين و ملكهم جالوت، فلما قتله داوود عليه السلام، جاء البربر إلى المغرب فانتشروا إلى السوس الأقصى"[2]. ويقول ويقول ابن أبي زرع في هذا أيضا: " فمن زنات بن جانا تفرقت القبائل زناتة فهم عرب صريحون "[3] .

حاول بعض المؤرخين أن يضفي إلى النسب المريني هالة من التكريم فرفع نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالوا عن عبد الحق المريني : " عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن علي بن

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 14 .

2 مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد، الدار البيضاء 1979 ، ص 185 . محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط 2 ، دار القلم ، الكويت 1987 ، ص 3 .

3 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 279 .

تاشفين بن يحيي بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر بن أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه "[1] .

و كان بنو مرين يمثلون قسما قويا له عراقته و سطوته بين قبائل زناتة، فهم أعلى حسبا و أشرفها نسبا و أغزرها كرما و أحسنها شيما وأرعاها ذمما و أرجحها كلاما و أشدها في الحروب بأسا و إقداما[2] .

تعددت مواطن بني مرين قبل دخولهم بلاد المغرب الأقصى، نتيجة لأسلوب البداوة الذي غلب على حياتهم ، فقد نزلوا في جنوب القيروان إلى صحراء بلاد السودان[3]، و قد وصفهم أبن أبي دينار في المؤنس : "و بنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية و يتنقلون من مكان إلى مكان و جل أموالهم الإبل والخيل و طعامهم اللحوم والتمر"[4].

يرى ابن خلدون أن إقامة بني مرين كانت بمجالات القفر من فكيك إلى سجلماسة في الجنوب ، و من فكيك إلى ملوية في الشمال، و ربما يتقدوا في ظعنهم شرقا نحو بلاد الزاب[5]، أما القلقشندي فيحدد منازل المرينيين ما بين فكيك وملوية

1 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 15 . مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 169 .

2 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 278 .

3 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 23 . Atallah Dhina , op.cit. , p 40

1 ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1286 هـ . ص 146 .

2 ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 167 . محمد بن احمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الدار البيضاء 1985 ، ص 18 .

فقط[1]. أما ابن مرزوق الخطيب فيرى أن القبائل المرينية تملكت مساحات شاسعة من بلاد الجريد إلى المغرب، حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت وجهات من تلمسان[2] .

2. بداية ظهورهم :

كانت قبيلة بني مرين تضم فرعين كبيرين: بنو عسكر وبنو حمامة، وكانت الزعامة و السيادة في بني عسكر، فكان زعيمها الأعدر بن العافية بن عسكر من أقوى رجالها وأشدهم بأسا ، وكان يلقب بالمخضب ، له جيوش قادت القبيلة إلى انتصارات عديدة ، و كانت تتميز سلطتهه القوية عليهم مثل الملوك وتقام له المراسيم ، وقد مكنته انتصاراته على المرابطين والحماديين معا إلى بسط نفوذه في بوادي زناتة بالمغرب وبلاد المرابطين إلى ما يلي تلمسان، وكذا الحماديون في بجاية و القلعة قد اضطروا إلى مهادنته ومصالحته[3].

استمر بنو حماد على علاقتهم الحسنة ببني مرين إلى أن ظهر الموحدون وتمكنوا من فتح تلمسان ووهران على يد عبد المؤمن بن علي، الذي بعث ما غنمه فيها من أموال وذخائر وسلاح إلى تينمل وكان المخضب حينها قد تملك بنواحي تلمسان و زاد نفوذه بتلك البلاد، إلا أنه لم يشهد حصار عبد المؤمن للمرابطين حيث كان ببلاد الزاب يفرض حكمه على بعض القبائل الزناتية ، وقد كان أهل مدينة

1 القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1922، ص 194 .

2 ابن مرزوق الخطيب ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981، ص18.

3 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 20 . ابن الأحمر، ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، مطبوعات القصر الملكي ، المطبعة الملكية ، الرباط 1962 ، ص 21- 22.

تلمسان ينتظرون قدومه لنصرتهم ، خاصة بعد سقوطها في يد الموحدين وفرار الأمير المرابطي تاشفين بن علي منها إلى وهران، فتبعته جيوش عبد المؤمن ، فتمكنت منه واستخلصت أمواله وذخائره، ثم أرسل بها عبد المؤمن إلى تينمل مركز دعوتهم ، فبلغ ذلك بني مرين، إذ قام المخضب بن عسكر لاستخلاصها والاستيلاء عليها في خمسمائة فارس فاعترضهم في وادي تلاغ واستولى على أموالهم، و أرسل عبد المؤمن جيشا يتزعمه عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادي لاستعادتها، فالتقى الجيشان بفحص مسون، و كان بينهما قتال شديد انتصر فيه المخضب على المرينيين و ذلك في سنة 540هـ/ 1146م[1].

على اثر ذاك عاد بنو مرين إلى مساكنهم [2]، حيث انتقلت رياستهم من بني عسكر إلى فرع من بني حمامة بن محمد بن و هو عم المخضب، و على رأسهم أبو بكر بن حمامة ثم بعد وفاته سنة 561هـ/ 1165م ، انتقلت إلى ابنه محيو الذي تميز عصره بأحداث كثيرة و حاسمة و شكلت تغيرا هاما في تاريخ المغرب ، إذ أرسله الخليفة الموحدي المنصور مشاركا في الجهاد بالأندلس حيث كلفه بقيادة المتطوعين من قومه وقبائل زناتة في معركة الأرك التي انتصر فيها المسلمون سنة

1 عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 150. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 21. مارمول كربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخرون ، ج1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1984 . ص 373 .

2 بعدما حاصر عبد المؤمن تلمسان المرابطية أرسل أبا حفص الهنتاتي لإخضاع المغرب الأوسط وحرب قبائل زناتة ، وكان أبو حفص يتزعم قبائل منها قبيلة بني عبد الواد فاستقرت بجهوده أوضاع المغرب الأوسط، وكان بنو مرين من القبائل الزناتية التي أبت الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بني عبد الواد، وبذلك لم ينالوا الحظوة التي نالها غيرهم ، فأخذتهم عزة النفس إلى مغادرة البلاد إلى القفر . ابن خلدون، العبر ، ج7 ، ص 344 . حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، مج2 ، ج2 ، ط1 ، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت 1992 ، ص 13.

591هـ/ 1195م، غير أن زعيم بني مرين كان قد أصيب بجروح عميقة اشتدت عليه بعد عودته من المعركة إلى بلاده، توفي على إثرها في نفس السنة بالزاب[1] .

3. قيام الدولة المرينية:

توفى محيو فكانت زعامة بني مرين لأكبر أبنائه أبو محمد عبد الحق، فبدأ به عصر جديد في تاريخ بني مرين[2]، إذ دخل في مناوشات مع الموحدين في سبيل تكوين دولة له مستغلا في ذلك ضعف الخلفاء الموحدين، وافتراقهم وتهاونهم في الدفاع عن الثغور فأخذ يغير بفلول بني مرين على نواحي المغرب وبواديه ، ويعيث في البلاد فسادا، مما دفع بالسكان إلى رفع شكاويهم إلى المستنصر ابن الناصر الموحدي، فعزم على محاربتهم وأعد لذلك جيشا كبيرا[3] تحت قيادة أبو علي بن واندوين وأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والي مدينة فاس.

التقى الفريقان بوادي نكّور في سنة613هـ/ 1276م ، فنشبت معركة حاسمة انهزم فيها الموحدون وتفرقت جموعهم ، و استولى بنو مرين الكثير من الأسلاب والغنائم بعدما جرّدوا أعداءهم الموحدين من ملابسهم فلم يجدوا ما يسترون به

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 20- 21 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص4. ابن الأحمر، روضة النسرين ، ص 23 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، مج 2 ، ص 14.

2 دخل بنو مرين في عهده بلاد المغرب الأقصى ، وأقاموا ببلاد الريف سنة 610هـ ، وذلك عندما لمسوا ضعف خليفة الموحدين يوسف المستنصر، و اختلال حال الدولة ، خصوصا بعد هزيمة العقاب سنة 609 هـ/ 1212م . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 158- 160. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 24 .

3 ضم هذا الجيش عشرة آلاف مقاتل ، تضخم عدده في طريقه إلى عشرين ألفا ، بعدما انضمت إليه قبائل الموحدين . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 26-27 . الناصري ، المصدر السابق، ج3 ، ص 6.

عوراتهم إلا نبات يعرف عندهم بأوراق المشعلة، فسميت هذه المعركة بمعركة المشعلة والعام هذا بعام المشعلة[1].

استطاع عبد الحق بن محيو بهذا النصر أن يزحف بجيوشه إلى رباط تازا[2] فاستولى عليه في انتصار آخر على الموحدين الأمر الذي زاد من حدة الصراع السياسي و العسكري بينهما، إضافة إلى المؤامرات التي تحاك في الخفاء بين الطرفين .

نشأ خلاف داخلي بين أفراد قبيلة بني مرين ، بني حمامة الذين كانت لهم الزعامة في بني مرين و بني عسكر أبناء عمومتهم ، إذ استعان بنو عسكر بعرب بني رياح خلفاء الموحدين ، كما استغل الموحدون هذا الصراع و عملوا على تغذيته من أجل إضعاف المرينيين ، وذلك بإيعاز من هؤلاء، انتقل هذا الصراع إلى معركة عسكرية مباشرة التقى فيها الفريقان بواجرهان بالقرب من وادي سبو[3] على بعد أميال من تافرطاست سنة 614هـ/ 1217م، انتهت بمقتل أميرهم عبد الحق وابنه الأكبر إدريس[4]، فخلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي أقسم وعشيرته على الثأر لقتلاهم والانتقام من أعدائهم، فزحفوا على معسكر بني عمومتهم وحلفائهم عرب رياح ،

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 27- 28 . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 188 . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 348 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج1، ص 375

2 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 32-33 . عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 868.

3 نهر ينبع من جبل يسمى سليلكو بالحوز في إقليم مملكة فاس ، ويجري في سهل مارا على بعد ستة أميال من فاس . الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج 2 ، ص 248 . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 99 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 283 .

4 ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 349 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 33.

فنالوا منهم قتلا وسلبا ونهبا لأموالهم ومتاعهم، وأرغموهم على الإذعان لسلطانهم مع دفع إتاوات سنوية[1].

أخذ أبو سعيد عثمان يدعو قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته، فبايعته قبائل هوارة وزكارة وتسول ومكناسة ، وبطوية ومطلاسة وكزناية وبنو يرتيان و بنو يازغة وغياثة ومجاصة وصاريوت وبنو مكود وبنو سيتان وبنو واسليت وبنو بحر وبنو يوسف ، كما فتح بلاد بني كانون، وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وسدراتة ولمطة، وبلاد غمارة، ففرض عليهم الخراج ووزع عليهم العمال، وألزم أهل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة بضريبة معينة يدفعونها إليه كل سنة تأمينا لطرقاتهم واتقاءا لغاراته[2].

بفضل هذه الفتوحات و التوسع ساهم أبو سعيد عثمان في وضع كيان سياسي لبني مرين لإقامة دولة تجمعهم ، و لم يبقى له إلا الإعلان عنها رسميا، فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين الذي أنهى الحكم الموحدي، مما جعلهم يغيرون من سياستهم و أسلوبهم من المواجهة العسكرية إلى سياسة الاسترضاء و التقرب من بني مرين عن طريق مهادنتهم وذلك سنة 637هـ/ 1232م[3].

1 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 191 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 35 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 15. عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 868- 869.

2 ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص 36- 37 . عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 350.

3 محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج4 ، ص 512 . محمد عيسى الحريري، المرجع السابق ، ص 19 .

اغتيل أبو سعيد عثمان ، فخلفه أخوه أبو معرّف محمد بن عبد الحق[1] (637- 642هـ/ 1232- 1244م) ، الذي سار على سياسة من سبقوه في التمكين لقومه ومواصلة الجهود السياسية والعسكرية لإقامة كيان لهم، يفرض هيبتهم و وجودهم ، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها ، وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليهم[2]. فكانت هذه السياسة كفيلة بتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين خصوصا بعدما سعى إلى إضعاف الموحدين بالتحالف مع خصومهم من المنشقين عنهم، فاستقبل أبو معرف جرمون بن رياح وقومه المنشقين عن الخليفة الموحدي الرشيد ، فأكرم وفادهم وأنزلهم أحسن منزل[3]، وبذلك جعل بنو مرين من أرضهم ملجأ لكل منشق عن الموحدين والراغبين في الانضمام إليهم كأسلوب ضغط وإضعاف للموحدين[4].

شرع بنو مرين في التأسيس العملي لقيام دولتهم ، فبعدما استولوا على البوادي في شمال المغرب تحولوا إلى المدن والأمصار، فحاصروا مكناسة ثم سلفات الأمر الذي أقلق الرشيد الموحدي مما دفعه إلى مواجهتهم وإيقاف مدهم، وكان الخلاف والشقاق قد وقع مرة أخرى في البيت المريني بين بني عسكر وبني حمامة وذلك منذ اعتلاء أبي معرف الحكم، فقد قام ابن واندوين الذي عقد له الخليفة الموحدي على

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 59.

2 عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 869.

3 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60.

4 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 16.

مكناسة التحالف مع بني عسكر فوقعت معركة بين الطرفين في منطقة سلفات ، فانهزم ابن واندوين وأتباعه[1].

عند اعتلاء السعيد بن المأمون الخلافة الموحدية سنة 640هـ، أخذ يركز على محاربة بني مرين فأعد لهم جيشا كبيرا يتألف من المصامدة والعرب والروم، والتقى مع الجيش المريني في أحواز فاس سنة 642هـ، و كان من نتائج هذه المعركة القضاء على الأمير أبو معرف محمد وانهزام المرينيين وانسحابهم إلى جبل بمنطقة تازا ثم خرجوا إلى الصحراء حتى لا يطولهم الموحدون[2]، و ظهر كأن أمر بني مرين قد انتهى .

لقد تغيرت الاوضاع عندما تولى أبو بكر بن عبد الحق رياسة بني مرين (642- 656هـ/ 1244- 1258م) ، ولم يكد يستقر في السلطة حتى راح يسعى جاهدا لتحقيق مشروع أبيه في إقامة دولة فعلية ، و قد تجلت حنكته و براعته في الحكم والإدارة وانكشفت حنكته السياسية بعدما أعاد تنظيم قبائل بني مرين[3] ، كما أصلح الخلافات التي كانت بينها، وخلع أبو بكر طاعة الموحدين وجهر بها، فأعلن تأييده لسلطة الحفصيين في إفريقية وبيعته لهم، و استمر على ذلك طيلة فترة حكمه

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60 . محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 16.

2 ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 352 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 193 . محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين، ط4 ، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997 ، ص ص 522-523.

3 قام الأمير أبو يحيى بتقسيم البلاد والمناطق التابعة له إلى مقاطعات إدارية ، ولى على كل منها إحدى قبائل بني مرين وأسرهم وأشياخهم ، وأطلق يدهم في جباية الأموال وتحصيل الضرائب، وطالبهم بتجنيد الجند وتأليف قلوب الناس حولهم استعدادا لمواجهة الموحدين . ابن خلدون، العبر ، ج7، ص 353. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 194. الناصري، المصدر السابق، ج3 ، ص 11 .

هو ومن جاء بعده[1] ولعل في هذه الخطوة استغلال للشرخ الذي وقع بين الموحدين والحفصيين وخلافهم حول مبادئ ابن تومرت وتنكر الموحدين لها، الأمر الذي لم يقبله الحفصيون فكان على بني مرين الاستفادة من هذا الوضع لصالحهم في مواجهة أعدائهم، إضافة إلى كسب حليف قوي و القضاء على التقارب الزياني الحفصي والتحالف الموحدي الزياني[2] الذي يسعى للقضاء على بني مرين والحيلولة دون إنشاء دولة لهم .

كان لهذا التحالف الذي قام به أبو بكر أثر كبير ، إذ تحرك سياسيا وعسكريا بمباركة الحفصيين، فاستولى على مكناسة سلميا بعدما بايعه أهلها سنة 643هـ/ 1245م، حيث ساعده أخوه أبو يعقوب الذي تمكن من إقناع شيوخ و أعيان المدينة بقوة بني مرين و مكانتهم بين القبائل من أجل الدخول في طاعة المرينيين والعيش تحت رايتهم ، بفضل حنكته السياسية وعلاقاته الطيبة مع شيوخ المدينة [3].

استشعر الخليفة السعيد الموحدي الأحداث الخطيرة التي تتعرض لها دولته، فاستنفر الموحدين و المصامدة الذين تمكن بفضلهم من جمع جيش كبير ، وخرج من مراكش سنة 645هـ/ 1247م قاصدا القضاء النهائي على بني مرين وأطماعهم التوسعية ، ثم الاستيلاء على تلمسان والمسير نحو إفريقية من أجل استعادتها .

1 ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 618 .

2 ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 538 .

3 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 66- 67. الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 12. عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 524.

في الوقت الذي كان الموحدون يستجمعون قوتهم كان المرينيون يراقبون ذلك عن قرب، فأدركوا أنهم غير قادرين على مواجهة هذه الجموع من الموحدين فاضطروا إلى التخلي عن ما ملكوه في نواحي المغرب، وارتحلوا إلى تازا وبلاد الريف[1].

كان الخليفة السعيد قد توجه إلى مكناسة ومنها إلى فاس ورباط تازا ، حيث وصلته وهو في الرباط بيعة أبي بكر بن عبد الحق المريني مقترحا عليه العودة إلى مراكش، وأن يقوم مقامه في التوجه إلى تلمسان[2] لإخضاع يغمراسن بن زيان[3]، غير أن الموحدين تفطنوا لمغزى هذا الطلب فشكروا الأمير المريني واكتفوا بمساهمته في الحملة فقط بفرقة عسكرية، فأمدهم بخمسمائة فارس[4].

بعد التحالف الذي وقع بين بني حفص و يغمراسن بن زيان على إثر الحمل ، ة التي كانت لهم على تلمسان ، غضب الخليفة السعيد الموحدي و عول على تأديب يغمراسن بن زيان ، إذ توجه السعيد نحو تلمسان فحاصرها وبعث إلى يغمراسن يدعوه للمثول أمامه وتقديم البيعة والدخول في طاعته، فاعتذر يغمراسن عن القدوم وأكد طاعته واستعداده لإرسال بعض الفرسان ليحاربوا في صفوف الموحدين أثناء زحفهم على إفريقية، ثم فر في قلة من أنصاره إلى قلعة تامزجدرت أو تامززدكت[5]

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 70. حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 16.

2 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص 210- 211 . ابن أبي زرع، الذخيرة السنية ، ص 71.

3 يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 205- 206.

4 ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 355 .

5 تامززدكت هو قصر واقع في الحد بين هذا القفر و بلاد تلمسان ، شيد قديما على صخرة ، و كان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب لحراسة أماكن مرور جند فاس. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 293 .

متحصنا بها ، غير أن الخليفة السعيد ألّح على وجوب مثول يغمراسن أمامه وظل هذا الأخير مصرا على موقفه، فعزم السعيد على ملاحقته فقصد القلعة التي امتنع بها يغمراسن[1] ، لكن يغمراسن بن زيان لم ينتظر وصوله، بل خرج إليه وفاجأه في الطريق وهو يعاين بنفسه المكان ويتحرى سبل التمكن من يغمراسن وبينما هو كذلك إذ عاجله كمين من بني عبد الواد، فقتل السعيد الموحدي ووزيره أبو زكريا بن عطوش ، وتفرق جنده.

تمكن يغمراسن من اغتنام الكثير كمحلة أبي الحسن السعيد وذخائره كالعقد اليتيم وغضار الزمرد ومصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي خطه بيده، فساد الرعب والفزع في صفوف الموحدين، الذين فرّوا مسرعين نحو مراكش تاركين محلتهم نهبا مستباحا ليغمراسن، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[2].

لما وصل خبر مقتل الخليفة السعيد إلى أبي بكر المريني قام بالاستيلاء على المناطق التي أخذها الموحدون ، فاسترد مكناسة وأسرع إلى رباط تازا قبل أن يهاجمها منافسه يغمراسن، ثم استولى على أجر سيف، وجميع حصون وقلاع وادي

1 المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت 1983 ، ص ص 387- 388. الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس 1966، ص ص 30-31 . الناصري، المصدر السابق ،ج3 ، ص ص 247- 248 .

2 حاصر أبو الحسن السعيد تلمسان ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع خرج السعيد في وقت القيلولة على حين غفلة من الناس فعرفه رجال يغمراسن فانقضوا عليه وقتلوه، وبادر يغمراسن إلى السعيد فنزل إليه وهو صريع على الأرض فحياه وفداه، وأقسم له على البراءة من دمه، ولما سكنت الفتنة، حمله يغمراسن ودفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين . يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ج1 ، مطبعة بيير فونطانا ، الجزائر 1903 ، ص 206 . ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 170 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 293 . المراكشي ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 388.

ملوية وسلمها إلى أخيه أبي يوسف، ثم انتهى إلى الاستيلاء على مدينة فاس بعد أن طرد منها عاملها الموحدي، فأقبلت عليه الوفود من معظم مناطق المغرب تعلن البيعة والطاعة ، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[1].

استطاع المرينيون في هذه المرحلة من التمكين لملكهم و تأسيس دولة قوية [2] وجعلوا من فاس عاصمة لهم، ثم أخذت أنظارهم تتجه نحو مراكش المدينة الأخيرة التي بقيت للموحدين و عاصمة ملكهم .

4. توسعات بني مرين :

بعد وفاة أبو بكر خلفه على حكم بني مرين ولده عمر، فانقسم على إثر ذلك بنو مرين على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين، وانتهى الخلاف بتولية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق[3] الذي انتهج نفس سياسة أخيه أبي يحيى في فتح الأمصار ومد النفوذ المريني إلى المناطق والنواحي، وقد واجه في فترة حكمه العديد من الثورات الداخلية والخارجية .

---

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 356- 358 .ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 72- 73 . عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص ص 532- 532.

2 كان بنو مرين قد استولوا على مدينة القصبة وسلا وسجلماسة ودرعة ، بعد صراع طويل مع خصومهم الموحدين وبني عبد الواد . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 19-20 .

3 بويع أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس في شوال من سنة 656هـ/ 1258م ، بعد صلح تم بينه وبين ابن أخيه عمر الذي ولي مكناسة و أحوازها . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص 199، . ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص ص 27- 30.

Jean Brignon , Abdelazize Amine et autres , Histoire du Maroc , librairie nationale, Casablanca 1967 , p 158

و من الثورات الداخلية ثورة أبي يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والي سلا، الذي نازع عمه في الحكم فأراد الاستقلال عنه بالاتفاق مع تجار إسبان زودوه بالسلاح ، ثم غدروا به وفتكوا بأهله و استولوا على المدينة ، فاضطر أبو يوسف يعقوب إلى التدخل لحماية المدينة التي عاثوا فيها قتلا ونهبا فلاحق ابن أخيه الذي ظل متنقلا من مكان إلى آخر طريدا حتى قتله القائد المريني طلحة بن علي بساقية غبولة بالقرب من سلا سنة 668هـ/ 1269م[1].

وقعت في عهد أبي يوسف ثورة أخرى ، قام بها أبناء أخيه أولاد إدريس وتزعمها كبيرهم محمد بن إدريس، فأعلنوا عصيانهم بقصر كتامة مستغلين حركة ابن عمهم أبي يعقوب بن عبد الله، لكن أن أبا يعقوب تمكن من القضاء على هذه الثورة دون قتال ، بفضل فطنته ودهائه السياسي، ثم أرسل ابن أخيه محمد على راس قوة عسكرية من بني مرين والمتطوعين لجهاد النصارى في الأندلس لمساعدة ابن الأحمر واستجابة لطلبه العون والنصرة التي كان قد تقدم به لأبي يوسف لاسترداد بعض ما فقده من أملاكه على يد النصارى، وتعتبر هذه أول حملة وأول جيش من بني مرين عبر إلى الأندلس[2] سنة 659هـ/ 1261م، وبذلك استطاع القضاء على ثورات أبناء أخيه ، و التفرغ للجهاد في الأندلس ضد النصارى ، خاصة بعد الاستنجاد الذي جاءه من بني نصر[3].

1 ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 368. عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 551.

2 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 98- 99.

3 Michel Abitbol , Histoire Du Maroc , édition perrin , p 124 .

في الوقت الذي كانت فيه جيوش المرينيين تهاجم النصارى في الاندلس استطاع أبو يوسف الاستيلاء على ريف تامسنا[1]، وانتصر على الموحدين في معركة أم الرجلين[2] على وادي أم الربيع سنة 660هـ/ 1262م، فصار بذلك وادي أم الربيع الحد الفاصل بين ملك بني مرين وملك الموحدين.

بالغم من انشغال بني مرين بالثورات الداخلية ، و الجهاد في الأندلس لم ينشغل أبو يوسف عن فتح عاصمة الموحدين مراكش ، فتحرك نحوها سنة (661هـ أو 662هـ)/ (1262م أو 1263م) مستغلا في ذلك الخلاف الذي وقع في البيت الموحدي بين الخليفة المرتضى وأبي دبوس[3] الذي لجأ إلى أبي يوسف يعقوب طالبا منه العون والنصرة على المرتضى، فعقد معه اتفاقية يتم بموجبها اقتسام ما يستولي عليه أبو دبوس في حربه ضد المرتضى ، مناصفة بينهما ، مقابل أن يمنحه بنو مرين ما يحتاجه من عدة و عتاد في سبيل تحقيق غايته[4].

---

1 الناصري ، المصدر السابق، ج3 ، ص 23 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق، ص 30 . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 194- 197.

Jean Brignon ,Abdelazize Amine et autres, opcit , p 149

2 وقعت هذه المعركة بين بني مرين والموحدين بوادي أم الربيع في موضع شبيه بجزر صغيرة، ينحصر فيها الماء ، فتبدو وكأنها أرجل فسميت بذلك موقعة أم الرجلين. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 95- 96، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 202 . الناصري ، المصدر السابق، ج 3، ص 24.

3 أبو دبوس هو لقب لأبي العلاء إدريس بن عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، اشتهر به من رفع الدبوس وهو في الأندلس ، والدبوس أحد الأسلحة التي كان يقاتل بها ، وهو له بها خبرة ومقدر في استخدامها عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، المرجع السابق ، ص 555 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق، ص 32.

4 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 203 .

و حفاظا على أطماع المرينيين ، لم يتوان أبو يوسف يعقوب في إمداد الثائر الموحدي أبا دبوس بكل ما يحتاجه من مال وجند وعتاد[1]، فسار أبو دبوس بالقوة التي زوده بها بنو مرين في ذي القعدة سنة 663هـ/ 1264م، فمر بمكناس ثم بالمعدن ومنها إلى تادلا ونزل بهسكورة جنوب شرق مراكش على زعيمها مسعود ، حيث وفد عليه أنصاره من الموحدين والجند الراغبين في خدمته ، وانضمت إليه قبائل عديدة لما أصابها من المرتضى نتيجة اتهامهم بالتواطؤ مع أبي دبوس[2].

عمت الفوضى ، وصارت مدينة مراكش غنيمة سهلة فقد استطاع أبو دبوس دخول المدينة دون قتال ، خاصة بعد فرار المرتضى، ولجوئه إلى صهره ابن بعطوش بمدينة أزمور، هذا الأخير تنكر له ولم يراع صلته به، فرفض استقباله، فلجأ بمن معه إلى مغارات على الشاطئ ورجال أبي دبوس يترصدونه حتى قبضوا عليه في مخبئه، فسلم إلى صهره الذي أوثقه منتظرا أوامر أبي دبوس الذي أمر بالتخلص منه، وبذلك أصبح أبو دبوس خليفة الدولة الموحدية تحت لقب الواثق بالله[3].

لما وصلت أخبار أبي دبوس و دخوله مراكش إلى أبي يوسف يعقوب، أرسل إليه يهنئه بالفتح ويذكره بالاتفاق الذي كان بينهما طالبا منه الوفاء بالعهد، غير أن الواثق بالله تنكر لتلك الوعود، وخاطبه أبا يعقوب مخاطبة الملوك لولاتهم ، والخلفاء

1 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 203 . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 370 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 25 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 109.

2 ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 574- 548 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 109 . عبد الله عنان ، نهاية الأندلس ، ص ص 556- 557.

3 ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 548- 549. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 33.

إلى عمالهم والرؤساء إلى خدامهم، على حد تعبير صاحب الذخيرة[1]، فغضب لذلك أبو يوسف وعزم على غزو مراكش سنة 666هـ/ 1268م، التي سار إليها على رأس جيش [2].

جاز أبو يوسف وادي أم الربيع الحد الفاصل بين إمارة بني مرين وخلافة الموحدين واقترب من وادي تنسيفت ، و كان يقوم بتخريب و حرق ما هو في طريقه من نسف المحاصيل الزراعية وتخريب الضياع، وتهديم الآثار وتخريب الطرقات والجسور والدور، وأغار على القبائل المؤيدة للموحدين بقوة وعنف فاضطربت أحوال المنطقة وانقطعت الموارد عن العاصمة وقلت الأقوات، وغلت الأسعار[3] .

بعدما عجز أبو دبوس عن مواجهة بني مرين منفردا أرسل إلى حليفه يغمراسن بن زيان يستنصره عليهم، فقام يغمراسن بشن الغارات على الأملاك الغربية لبني مرين بوادي ملوية وغيره، متتبعا نفس سياسة بني مرين من حرق و نهب و تدمير ، فاضطربت أحوال تلك المناطق، مما اضطر أبو يوسف للانسحاب ليستعد لمحاربة بني عبد الواد، ثم خرج من فاس ليلتقي بخصمه في وادي تلاغ إلى الشرق من نهر ملوية، في معركة خاسمة انهزم فيها يغمراسن بن زيان هزيمة قاسية ، قتل فيها عدد كبير من شيوخ بني زيان وفي مقدمتهم ابن يغمراسن أبو عثمان ، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة 666هـ/ 1267م[4].

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111.

2 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 111 . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 549. عبد الله عنان، نهاية الأندلس ، ص 563.

3 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 115.

4 ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 371 ، ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ص 115- 116.

لقد ادت هذه المعركة إلى القضاء على أطماع بني زيان في الزعامة بين قبائل زناتة ، و رجع يغمراسن إلى تلمسان لانشغال بترتيب أمور دولته و العمل على الحفاظ على أملاكه في المغرب الأوسط ، كما عمل على محاولة مهادنة بني مرين، كما أوصى ابنه بذلك من بعده[1].

بعد كل هذه الأحداث توجه أبو يوسف يعقوب بقواته كلها إلى الجنوب القضاء النهائي على حكم الموحدين ، فجمع جيشه من بني مرين و أحلافهم وخرج من فاس في شعبان 666هـ/ 1268م، فعبر وادي أم الربيع وكالعادة أتلف الزروع وخرب القرى والدور، وغزا القبائل المؤيدة للموحدين ، كتادلا وصنهاجة[2] وغيرها ، فاتخذ خطة أساسها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال وألا يدخل في صدام مياشر مع الموحدين إلا في المكان و الزمان الذي يريد ، وكان الجيش الموحدي يقتفي أثره من مكان لآخر حتى وصلوا إلى وادي غفو، وهناك عسكر بنو مرين واستعدوا للقاء الموحدين ، فنشبت بينهم معركة ، انتهت بهزيمة الموحدين ومقتل أبي دبوس واستيلاء بني مرين على محلتهم، وذلك في محرم سنة 668هـ/ 1269م[3].

عندما وصلت أخبار هذه الهزيمة العاصمة مراكش، فر أقارب الخليفة الموحدي إلى جبال تنملل في حين سار أبو يوسف يعقوب نحو مراكش التي دخلها في موكب حافل استقبله فيها وجهاء القوم من الفقهاء والقضاة والأشياخ مبايعين له طالبين منه

1 حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 21 .

2 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 26.

3 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 205 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 117- 118 . ابن خلدون، العبر ، ج7 ، ص 375 . عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص ص 568- 570 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 21.

الأمن والأمان فأمنهم وطمأنهم، فاستقرت الأحوال وسادت السكينة والهدوء المدينة، ونزل أبو يوسف في قصبتها[1].

كان لمقتل آخر خلفاء الموحدين و استيلاء بني مرين على مراكش عاصمة ملكهم ، أثر في تغير الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى ، من خلال قيام دولة جديدة سيكون لها شأن كبير ألا و هي دولة بني مرين التي أسهمت بشكل كبير في النهضة الفكرية التي عرفها المغرب الأقصى .

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 118 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3، ص 27 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 35 .

المبحث الثاني : الحياة السياسية في الدولة السعدية.

تغيرت الأوضاع في المغرب تغييرا عميقا خلال العصر السعدي في جميع الميادين السياسية و المعيشية والفكرية، واستبدلت البلاد حالة الضعف والانقسام والفقر التي خيمت على ربوعها طوال القرن التاسع الهجري بحالة أخرى من القوة والوحدة والغنى. غير أن هذا التحول لم يتحقق بين عشية وضحاها، وإنما ظل يتقدم بطيئا مع انتشار نفوذ السعديين، يثعتر مرة أخرى، ليستوي قائما في النصف الثاني من القرن العاشر. وسنوجز القول هنا بإلقاء نظرة عامة خاطفة لاستجلاء الخطوط الكبرى لمختلف مناحي الحياة أيام السعديين قبل أن نتفرغ لبحث الحركة الفكرية والأدبية والتعرف على مظاهرها وتطوراتها عن قرب.

وعرفت الدولة السعدية أزهى عهودها خلال فترة المنصور، حيت اكتملت خلالها تنظيمات الدولة،وتقوى نفوذها واتبع ليشمل جميع مناطق المغرب وأجزاء من إفريقيا الغربية،كما ازدادت هيبتها على الصعيد الدولي بفضل السياسة الخارجية التي نهجها المنصور[1]،الشيء الذي كان له دور كبير في استقرار الوضع الاجتماعي بالمدن والبوادي المغربية[2]،وانفتاح المغرب على تيارات حضارية مختلفة،وانتعاش الحياة الاقتصادية والفكرية انتعاشا كبيرا خلال النصف الثاني من القرن 16 [3].

لكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب اضطرابات سياسية خطيرة بسبب الصراع على الحكم ورافق ذالك تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

1 إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 1978 ، ص 120

2 ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 368. عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 551.

3 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 23 .

للبلاد،وترتب عن ذالك تراجع سلطة السعديين[1]،وظهور قوات سياسية جديدة ساهمت بدورها في عودة تجزئة المغرب وتفكك وحدته.

1. ضعف حكم الوطاسيين:

اتسمت أوضاع المغرب إبان الحكم الو طاسي بالتجزئة والتدهور،إذ لم تتوفر للوطاسيين القوة العسكرية الضرورية لبسط نفوذهم على ومجموع التراب المغربي،وبذاك فشلوا في إعادة وحدة البلاد، إذ لم يتعد نفوذهم المناطق الواقعة شمال أم الربيع، وضمنها أيضا ظلت مناطق متعددة تشكل كيانات مستقلة لا تعترف للحكم الوطاسي إلا بتبعية اسمية فقط ، مثل منطقة تطوان التي خضعت لإمارة بني المنظرين ومنطقة شفشاون لأسرة بني راشد[2]، وكلاهما من أصول أندلسية، بالإضافة إلى استمرار حركة تمرد القبائل ضدهم، خصوصا أثناء فترة جباية الضرائب والتي تكلف الوطاسيين جهودا كبيرة.

وقد أدت هذه الأوضاع إلى عزلة الدولة الوطاسية، وزادت الكوارث الطبيعية من تعميق الاختلال ومعاناة السكان.

ومما زاد في ضعف الوطاسيين وافقدهم ثقة السكان والقبائل، عجزهم عن التصدي بفعالية للاحتلال البرتغالي[3] خصوصا بعد أن جدد هؤلاء هجومهم في مطلع القرن 16م، وأقدموا على احتلال عدد آخر من الثغور فاتحين بذالك جبهات متعددة أمام الوطاسيين.

---

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 98- 99.

2 ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 370 .

3 كريم عبد الكريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، ط 3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط 2006 ، ص 46

وأمام فشل الوطاسيين في القيام بالدور المنوط بهم، ازداد دور أئمة وشيوخ الزوايا في تعبئة السكان،حيت تعددت مراكزهم في اغلب مناطق المغرب، واخذ أتباعهم ومريدوهم يجوبون البوادي لبث الحماس الديني والدعوة إلى الجهاد[1]، واكتسبت الزوايا بفضل نشاطها هذا ثقة السكان وتقديرهم وتمتعت بنفوذ كبير لديهم،مما جعلها تتمكن من استقطاب العديد من المتطوعين وجمع الأموال الضرورية لإقامة الرباطات حول عدد من الثغور المحتلة.

2. أوضاع منطقة سوس:

أدى ضعف السلطة المركزية إلى انفصال منطقة سوس كغيرها من المناطق منذ أواسط القرن 15، فأدارت القبائل شؤونها مستغلة خيراتها الفلاحية وموارد التجارة الصحراوية التي ظلت منتعشة رغم بداية تحول الطرق التجارية نحو الغرب لفائدة الأوربيين، إلا أن استيلاء البرتغاليين على سواحل الإقليم وإغلاق منافذه البحرية اضعف الموارد التجارية للمنطقة التي تضررت أيضا من هجماتهم، وكذا من بعض الأعمال التي كانوا يمارسونها.[2]

فالتفت قبائل سوس حول فروع الزاوية الشاذلية لإجلاء المحتلين المسيحيين من الثغور تحت راية الجهاد، إلا أن حدود هذه المقاومة أمام الخطر البرتغالي اقنع المجاهدين والزوايا بضرورة إقامة كيان يستقطب القبائل ويوفر الموارد وينظم

1 نفسه ، ص 50

2 دييكودي توريس ، تاريخ الشرفاء ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، الدارس للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء 1988 ، ص 13 Michel Abitbol , op cit , p 169

المقاومة، واستقر الرأي على ترشيح إحدى الأسر الأكثر حظوة لدى السكان، و هم الأشراف السعديين[1]

3. أصل السعديين:

الأشراف السعديون الذين استقطبوا التأييد ينتسبون لآل البيت النبوي، استقروا بدرعه الأوسط منذ القرن 14م (الثامن الهجري) ومنها نزحوا شمالا في القرن 15 م،وذالك نحو قرية تدعى تيدسي جنوب غرب تارودانت[2]، وهي من مراكز طريق التجارة الصحراوية. وهناك استطاعوا اكتساب حظوة لدى السكان بسبب شرفهم ومساهمتهم في أعمال الجهاد ضد البرتغاليين.

وقد انطلقت الحركة السعدية مع المولى محمد القائم بأمر الله بمساعدة ابنيه، احمد الأعرج ومحمد الشيخ، وذالك بتامين شروط التنظيم والجهاد وفي مقدمتها الموارد المالية والأسلحة،فاستخلص الزكاة والأعشار من القبائل، وسعى إلى الحصول على الأسلحة والعتاد من الأوربيين مقابل تمكين بعضهم من احتكار تصدير بعض المواد مثل السكر...، لتركيز السلطة وتوسيع النفوذ[3].

2 Michel Abitbol , op cit , p 170

2 دييكودي توريس ، المرجع السابق ، ص 13

3 الناصري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 5

4. الأسس التي قامت عليها الدولة السعدية:

قامت الدولة السعدية على أساس ديني سياسي ، فالسعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة، وهكذا لجأوا إلى اقناع الناس بشرف نسبهم حتى يبرروا أن لقيام دولتهم أساسا دينيا وأنهم ليسوا مجرد مغتصبين خلفوا مغتصبين آخرين .

لقد كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء والمتصوفة ، ولم يكن بين قبائل المغرب أحسن مقاما من الأشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة ، فكانوا في نظر كثير من العامة أحق الناس بتولي الملك[1] .

كان الخطر الأجنبي على البلاد قد تفاقم حتى لم يعد للمقاومة الشعبية فائدة تذكر إذا لم تبادر دولة محكمة الجهاز إلى تبنيها وتنسيقها .

شكلت سنة 1511م بداية المواجهة العسكرية مع البرتغاليين في الجنوب، فبعدما استقطبت الدعوة السعدية منذ البداية سكان المناطق الجنوبية[2] المتضررة من تافيلالت إلى سوس مرورا عبر درعه ، أصبحت تتطلع إلى فك الحصار المفروض على التجارة الصحراوية مما جعلها في مواجهة البرتغاليين[3]، لذالك استهدفت الحملات السعدية الأولى ضدهم عزل الثغور المحتلة جنوبا تمهيدا لتحريرها.

1 الناصري ، المصدر السايق ، ج5 ، ص 52

2 Michel Abitbol , op cit , p 156

3 الناصري ، المصدر السايق ، ج5 ، ص 62

فنظم محمد القائم هجومات على مناطق حاحا والشياضمة، ثم نقل السعديون حملاتهم نحو الشمال حول ازمور ومازيغن لإنهاك المحتلين، لاسيما بعد استرجاع سانتاكروز سنة 1546 م، الذي كان له اثر بالفعل على الوجود البرتغالي[1].

بعد ذالك تمكن السعديون من بسط نفوذهم تدريجيا على مجموع التراب المغربي عبر ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى (1511 م-1525 م): وقد اظهر خلالها السعديين دهاءا سياسيا بالحفاظ على ولائهم للوطاسيين،إلى أن وطدوا نفوذهم في الجنوب المغربي، ووضعوا أسس الدولة الجديدة واسترجعوا الطرق التجارية الشرقية.

- المرحلة الثانية (1525 م-1536 م):تميزت هذه المرحلة بالمواجهة مع الوطاسيين الذين حاولوا أكثر من مرة القضاء على القوة الجديدة المنافسة لهم،خاصة بعد دخول السعديين مراكش سنة 1521 م، حيث شنوا الحرب ضد السعديين في معركة أنماري سنة 1529 م،ومعركة مشرع بوعقبة على وادي العبيد سنة 1536م، فانهزم الوطاسيون وثم عقد صلح بوعقبة على وادي العبيد سنة 1536 م، الذي اعترف بالسعديين كقوة ثانية بالبلاد يمتد نفوذها جنوب أم الربيع[2]

1 عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 134

2 الناصري ، الاستقصا ، ص 106

- المرحلة الثالثة (1538 م-1549 م):وتميزت هذه المرحلة بفشل محاولة الوطاسيين لاسترجاع مراكش سنة 1538 م، والتي ترتب عنها تراجعهم عن تادلا و تافيلالت،وبعد أن تمكن محمد الشيخ السعدي من تنحية أخيه أحمد الأعرج، واصل السعديون ضغطهم على المناطق الشمالية إلى أن تمكنوا من ضم مكناس وفاس سنة 1549 م، ثم باقي المدن والشواطئ وبذاك وحدوا البلاد تحت سلطتهم[1].

1 إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 234

الفصل الثاني: المساجد و الكتاتيب في الدولتين.

المبحث الأول : الدولة المرينية

1- الكتاتيب.

2- المساجد.

المبحث الثاني : الدولة السعدية.

1- الكتاتيب.

2- المساجد.

المبحث الأول : الدولة المرينية

1- الكتاتيب.

كان المكتب[1] يشكل مؤسسة خاصة بتعليم أبناء الرعية و العامة، وعادة كانت تتواجد بالقرب من المساجد، خوفا من نجاسة الصبيان للمسجد، و كان يعرف كذلك بالمسيد، و تسمى كذلك المحضرة، و كان الفقهاء يستحسنون أن يتواجد المكتب في مكان عمومي، لأنه من الشعائر التي ينبغي إظهارها[2].

أصبحت هذه المؤسسة ضرورة من أجل نشر الإسلام في بلاد المغرب، إذ يقول القابسي:" فإذا ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا بذلك لجهل وقبح و نقص حاله"[3]، و لهذا عرفت الكتاتيب انتشارا واسعا بين القرن الثاني هجري و السادس هجري و وعمت كل المناطق المغرب الإسلامي.

و في نفس هذه الفترة اتخذت القبائل المرينية بالصحراء معلما لأبنائها و منهم صالح السرغيني[4]، غير أن بعض المناطق المعزولة مثل القرى لم تعرف ظهور

1- المكتب: جمعها كتاتيب، هو مكان للتعليم الابتدائي، و هو أشبه بالمدرسة الابتدائية حاليا،و يطلق عليه أيضا لفظة كُتاب ، و هي جمع كاتب . محمد المختار السوسي ، مدارس سوس العتيقة، ط1 ، مؤسسة التغليف و الطباعة و النشر ، طنجة 1987 ، ص 11 .

2- ابن الحاج العبدري، المدخل، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة (د.ت)، ص 313.

3- القابسي أبو الحسن علي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين، تحقيق أحمد خالد،ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986، ص94.

4 علي صالح السرغيني: رجل صالح ورع حافظ لكتاب الله قدم من بلاد المصامدة، و في طريق عودته من الحج، نزل ببلاد الزاب، فوجد بني مرين بجبل إيكجان، فنزل منها عند محمد بن علي بن وزرير، فأقام عندهم يصلي بهم و يعلم أبنائهم، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص21.

الكتاتيب إلا في زمن متأخر في القرن السادس الهجري، أما في المدن فق ازدهرت هذه المؤسسة، و تكاثرت على غرار مدينة فاس ومراكش[1].

تأثرت الكتاتيب كغيرها من المؤسسات التعليمية بالأزمة بعد القرن السادس هجري بعد سقوط الدولة الموحدية، مما اضطر بني مرين إلى مساعدة المعلمين ماديا، كما فعل السلطان أبو عنان المريني في القرن الثامن هجري[2]، و قد أصبح عدد الكتاتيب في مدينة فاس حوالي مائتي كتاب، في مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال[3].

بالرغم من تحبيس بنايات خاصة بالكتاتيب، إلا أنه كان على الصبيان أن يأدوا الأجرة للمعلمين، و بهذا لم تستفد مؤسسة الكتاتيب التي كانت تنتشر في كل المدن و قرى الدولة المرينية من الأوقاف إلا بشكل قليل، وفي المدن الرئيسية فقط مثل فاس و مراكش و سلا[4].

1 الحسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2004، ص92.

2 ابن الحاج النميري، فيض العباب قداح الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة و الزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت1990، ص 172.

3 الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص26.

4 الحسين أسكان، المرجع السابق، ص39.

2- المساجد في الدولة المرينية:

يشكل المسجد الجامع عنصرا أساسيا في عمارة المدينة الإسلامية، لما له من أهمية دينية و سياسية فغي المجتمع، كما ساهم منذ قيام الدولة الإسلامية بدوره التعليمي و الديني.

يصبح الطالب في العصر المريني مؤهلا للدراسة في المساجد بعد اجتيازه لمرحلة الكتاتيب، أي عند بلوغه مرحلة البلوغ، أي بين الثالثة عشر و الرابعة عشر من عمره[1]، أما المدة التي يقضيها في المسجد، فهي تعود أساسا إلى التلميذ أو الطالب، فمتى رأى أنه قد اكتفى من هذه المرحلة، انتقل إلى مسجد آخر لطلب العلم[2].

عرفت المساجد في العصر المريني، توافد عديد من العلماء للتدريس بمختلف المساجد التي أنشأها المرينيون، إذ كانوا يلقنون دروسهم بها طوال فترات اليوم من الفجر إلى العشاء، و قد برز منهم أبو عبد الله بن هانئ اللخمي المتوفى سنة 733هـ الذي كان يدرس بمسجد القفال بسبتة، و كذلك أبو عبد الله الزرعي الذي " كان موضع إقرائه بمسجد بمقبرة زحلو في سماط الموثقين الذي بإزاء المسجد هناك كان يعقد الشروط و كان من أصدقاء أبي القاسم التجيبي"[3]

1 روجي لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت 1967، ص169.

2 مزاحم علاوي الشاهري، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب، دار الكتاب الأكاديمي، عمان، 2012، ص175.

3 محمد بن تاويت الطنجي ، بلغة الأمنية و مقصد اللبيب فيمن كان بسبتة بالدولة المرينية من مدرس وأستاذ و طبيب، مجلة تطوان ، العدد 9 ، معهد مولاي الحسن ، تطوان 1964 ، ص 175 .

و كان في فاس علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير، أحد كبار الفقهاء العصر المريني الأول، المعروف باطلاعه الواسع على علوم الفقه و أصوله[1]، و الذي اشتهرت مجالسه بتدريس كتاب التهذيب البراذعي، و كان يعقد على كرسي عال، ليسمع القريب و البعيد[2]، استمرت المساجد في مهمتها العلمية، و لم تنقطع بوفاة الأستاذ المدرس بها، إذ يخلفه أحد طلبته المتفوقين بعد وفاته، مثلما جرى مع عبد المؤمن بن محمد بن موسى الجاناتي (ت 746هـ) الذي جلس للتدريس بالجامع بعد وفاة شيخه أبي الحسن الصغير[3].

1.2- الجامع الكبير بتازا :

بني هذا الجامع من قبل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (1152-1163م)، و وسّعه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب وأصلحه ورّمه السلطان أبو عنان، و يعتبر من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس[4].

يعتبر هذا المسجد مرحلة انتقال بين عمارة الموحدين و عمارة بني مرين ، فقد قام السلطان أبو يعقوب يوسف بالزيادة في المسجد، حيث دامت التوسعة عشرين

2 محمد العلمي حمدان، أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، مجلة دعوة الحق، العدد 17، مطبعة فضالة المحمدية، جويلية 1976، ص120.

2 ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1996، ص120.

3 ابن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج2، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط 1973، ص 447.

4 صالح بن قربة ، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 101.

شهرا، أضاف له بلاط جانبي بطول الواجهتين الشرقية و الغربية، فصار المسجد به تسع بلاطات و ثمانية أساكيب[1].

2.2- الجامع الكبير بفاس :

نسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب (674هـ/1275م)، حيث أمر ببناء هذا الجامع بفاس الجديد سنة 676هـ/[2]21 مارس 1276م، و سار العمل فيه سريعا و اكتمل و صلّى الناس فيه في يناير 1279م. و هو مسجد مغربي أندلسي في هيئته، يتكّون من بيت صلاة فسيح يحتل نصف مساحته، وصحن واسع يحتل النصف الثاني و لا تحيط بالصحن إلاّ مجنبة واحدة في كلّ ناحية، و في مدخل ببيت الصلاة من الصحن تقوم قّبة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرّواق الأوسط، أّما المئذنة فتقوم في الرّكن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة أي في الجدار الشمالي[3].

تميز الجامع بزخارفه و نمطه المعماري المغربي الأندلسي، خاصة و أن أبو يوسف يعقوب بن الحق مؤسس الجامع ، قد استعان بالعمال الأندلسيين و المغاربة، و أشرف على البناء أبو عبد الله بن عبد الكريم الحودي و والي مكناس أبو علي الأزرق[4] .

---

1 نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، مذكرة ماجستير ، جامعة الموصل 2004 ، ص 128

2 صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 102.

3 حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 29.

4 محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ط3 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2000 ، ص 28 .

3.2- جامع الحمراء :

أنشأ هذا الجامع السلطان الأحمر في عصر بني مرين في القرن 8هـ/14م، ولكن بعض الروايات تروي بأن امرأة حمراء أتت من تافيلالت في عصر بني مرين، كرّست كلّ ثروتها لبناء هذا الجامع و لذلك سمّي هذا الجامع باسم لآلة الحمراء بفاس الجديد[1].

4.2- جامع الزهر بفاس الجديد :

شيّد هذا الجامع السلطان أبو عنان في سنة 759هـ/1357م، و لهذا المسجد مئذنة عبارة عن برج مربّع التخطيط طول ضلعها 3،50م، وارتفاعها من أرضية المسجد حتى قمّة الشرفات 16,85م، مطموسة في جزئها الأسفل[2].

5.2- جامع الشرابليين بفاس الجديد :

يرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر المريني بالمغرب الأقصى، وبالضبط إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، رمّم في عهد السلطان مولاي سليمان (1792-1823م)، و لم يبق من هذا المسجد سوى المدخل الرّئيسي، و المئذنة اللّذان احتفظا بمظهرهما القديم[3].

1 صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 104.

2 صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 105.

3 صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 106.

6.2- جامع أبي حسّان بفاس الجديد :

يرجع تاريخ إنشائه حسب النقش الكتابي الموجود على اللوحة الرخامية المثّبتة فوق المدخل من الحائط الغربي للصحن إلى سنة 742هـ/1341م[1].

و تبرز الدراسات الأثرية الحديثة روعة الفنّ المعماري المريني الذي جعله منفردًا ومميّزًا و لعلّ ما يميّز المساجد المرينية عن سابقتها الموحّدية بأنّ هذه الأخيرة كانت أكثر اتّساعًا منها عمقًا، غير أنّ المساجد المرينية كانت أكثر طولاً منها عرضًا. والذي زاد منها في الإتساع أكثر من غيره هو الصحن خاصّة، فهو يشغل ما يقرب من نصف البناء، و توسيع الصحن يرجع بدون شك إلى أسباب عملية و هو أنه جرت العادة أن تقام الصلاة في فصل الصيف، في صحن المسجد و قد خصص لذلك في مدخل البهو المحوري محراب ثانوي ، هو ما يسّمى بالعنزة[2].

و من التغييرات الفنية التي أدخلها المرينيون على جوامعهم، علّو هذه المساجد، النموذجي، و أقواس الأبهاء ذات ارتفاع مساوٍ لارتفاع أعمدتها، و قد ترك نهائيا القوس المتجاوز و المنكسر و الذي يتجاوز عرض ما بين الأعمدة الذي كان معمولاً به في المساجد الموحّدية أي عادوا إلى القوس ذي الإنحناء نصف الّدائري المتجاوز كمساجد قرطبة[3]

1 صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 109.

2 Mustapha Akhmise , Histoire de la médecine au Maroc , des origines du protectorat , casablanca 1991 , p 42

3 عبد العلي بلامين ، بغية السائلين عن عالم القرويين في عصر بني مرين ، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 2006 ، ص 30 .

7.2- المسجد الكبير بوجدة :

يعود بناء هذا الجامع إلى السلطان أبي يعقوب يوسف المريني، و هو بناء متواضع يشتمل فيه بيت الصلاة على عشرة بلاطات و ثلاثة أساكيب، و تقع الصومعة بالركن الغربي لقاعة الصلاة، و يبدو البناء من خلال زخارفه و هندسته أشبه العمارة المرابطية منها إلى المرينية[1].

المبحث الثاني : الدولة السعدية

1- الكتاتيب.

كان القرآن الكريم يحتل الصدارة في جميع المساجد و المدارس والكتاتيب، عبر كل حواضر الدولة السعدية، فقد بنى عبد الله الغالب بالله بالقسم الغربي من جامع القرويين خلوة خاصة لقراءة القرآن، سميت بخلوة الجزابين[2]، و قد ورد في كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمادراتية، أن الذي بنى هذه الخلوة هو السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الذي عرف بميله لعمران بني مرين، و ذلك سنة 970هـ[3].

و كان أطفال الكتاتيب يطلب منهم أوليائهم و معلموهم المواظبة على الحضور، في حلقات الجزابين، حتى يزدادوا حفظا للقرآن الكريم و يسهل عليهم فهمه و الاهتداء به، ومن أشهر المعلمين برزوا في العصر السعدي نجد:

- محمد بن يوسف الترغي، و هو الذي يرجع له الفضل في نشر تعليم القراءات بالمغرب عن طريق تلامذته، و كان فقيها و أديبا، أصله من فاس التي

1 نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي ، المرجع السابق ، ص 127 .

2 عبد الهادي التازي، جامع القرويين ، ج2، ص334.

3 مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمادراتية ، ص30.

تلقى فيها تعليمه، ثم تولى بعض الوظائف بمراكش، ثم عاد إلى فاس أينم توفي فيها عام 1009هـ [1].

- عبد الله بن عبد الرزاق العثماني (ت 1027) كان يعلم بكتاب دراس بن إسماعيل[2] بفاس، نسخ أكثر من سبعين مصحف، كما ألف كتابا في التصوف.

- علي السلاسي و عبد الله بن موسى الورتيني، و قد ذكرا في وثيقة عدلية يعود تاريخها إلى سنة 929هـ، و كلاهما كان معلما بمدرسة الصفاح بفاس[3].

كان لمعلم الكتاب أجرة عن تعليم الأطفال، و ذلك على أساس اتفاق مسبق بين المعلم و أولياء الصبيان، و لا بد أن يؤدي الآباء تلك الأجرة، مهما كانت نتائج الصبي أو التلميذ، هناك من الفقهاء من كان يرى عدم جواز أخذ الأجرة عن المعلمين لقدسية القرآن الكريم، لكن بعض الفقهاء لم يعارض ذلك خشية تناقص الحفاظ[4].

1 الافراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء 2004، ص235.

2 بكني أبا ميمونة من أهل فاس، و سمي دراس لكثرة درسه، و سمع من شيوخ بلده و من أفريقية، وكان من حفاظ بلاد المغرب، توفي بفاس عام 357هـ، ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من العلماء مدينة فاس دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1973 ، ص195.

3 إبراهيم حركات، السياسة و المجتمع في العصر السعدي، دار الراشد الحديثة، الدار البيضاء 1987، ص396.

4 إبراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص396.

ظل الحفظ متفشيا في هذا العصر، خلال هذه المرحلة، إذ كان الأطفال يبدأون في سن مبكرة، يحفظ الحروف الهجائية، ثم يحفظون الفاتحة ثم باقي سور القرآن من أسفل إلى أعلى، حتى يحفظون كله، وقد تتكرر الختمات عدة مرات[1].

أما التأديب البدني مقبول، و يلجأ إليه حسب رأي محمد بن أبي بكر الدلائي[2] من أجل تربية الطفل، و من تم فلا يمارس التأديب بالضرب في حالة الغضب، كما لا يضرب التلميذ على رأسه أو وجهه و كانت عطلة الأسبوع هي يومي الخميس والجمعة[3].

2- المساجد:

لم تلق المؤسسات الدينية و العلمية العناية الكافية من قبل الوطاسيين، إذ عجز بنو وطاس خلفاء بين مرين في نشر الأمن و الاستقرار و تحقيق النمو الاقتصادي، مما أثر على مداخيل الأحباس، فظهر عجز مالي للدولة، لكن الدولة السعدية التي جاءت بحماس ديني من اجل الجهاد وتحرير المدن المغربية و حماية المؤسسات الدينية، سعت إلى بعث هذه المؤسسات من جديد و ترميمها و تطويرها ، إضافة إلى إنشاء مؤسسات جديدة .

1 محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ج1، ص83.

2 محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي: عرف بالمرابط الفقيه العالم، كان إماما في علم النحو، مشاركا في جميع الفنون، توفي سنة 1089هـ و دفن بفاس. محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد يوفركو،ج1،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص305.

3 إبراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص396.

1.2-جامع المواسين بمراكش :

يسمى أيضا مسجد الأشراف بحي المواسين في مراكش مركز الدولة، و كان أهل الورع و الزهد يتجنبون الصلاة إذ يقال بأنه بني فوق موضع مقبرة يهودية.[1]

عندما درس جورج مارسيه المسجد قال بأنه أسس بعد جامع باب دكالة بخمس سنوات أي في سنة 1562 م /970 هـ[2]، و يقول السلاوي نقلا عن اليفرني" و في عشرة السبعين و التسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش، و السقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكور، والمارستان الذي ظهر نفعه، و وقف عليه أوقافا عظيمة "[3]

انطلاقا من نص اليفرني نستنتج أن بناء المسجد تم في العقد السابع من القرن التاسع للهجرة، كما أن ذكره بأن السلطان الغالب بالله هو المؤسس و الذي تمت مبايعته سنة 965 هـ من طرف قبائل مراكش وفاس، يجعلنا ندرك أن تاريخ إنشاء المسجد كان بين سنتي 965 و 970 هـ[4].

---

1 الناصري ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 41

2 Georges Marcais , L'architecteur musulmane de L'Occidents , Paris 1955 , pp 385-386 .

3 الناصري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 39 .

4 عثمان عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، ج5 ، ط1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1993 ، ص 68 .

سمي هذا المسجد بجامع الشرفاء[1] و جامع الأشراف[2]، و يعرف حاليا بجامع المواسين، و هو اسم لأسرة شريفة من نسل الرسول صلى الله عليه و سلم كانت تسكن الحي الذي بني فيه المسجد[3].

يشغل هذا الجامع مساحة مستطيلة، و تخطيطه عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، كما تضمن بعض المنشآت الملحقة بعضها داخل المسجد كبيت المنبر و بيت الخطيب ومصلى الجنائز و خزانة الكتب و بيت الاعتكاف، و خارجه يوجد الميضأة و السقاية و المدرسة[4].

و قد استخدم الآجر في بناء الجامع و ملحقاته، و الخشب في الأسقف والأبواب و الشبابيك و الرفوف و المنبر، و استخدم الجص في الجدران والقباب ، كما استعمل الزليج في أرضية الصحن و الجزء السفلي لواجهة المحراب و انحنائه الداخلي ، كما استخدم الرخام في الأعمدة ، والقرميد الأخضر في تغطية الأسطح الخارجية[5].

و جامع الشرفاء بالمواسين عرفت أروقته مجالس للعلماء و الفقهاء والوعاظ ، فكان في نفس الوقت مكانا للقيام بالشعائر الدينية، و مركزا علميا يقصده أهل العلم لزيادة التحصيل المعرفي، و من بين العلماء الذين شغلوا التدريس و الخطابة بهذا

1 ابن القاضي ، جدوة الاقتباس ، ج2 ، ض 454

2 الافراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1998 ، ص 107 .

3 إبراهيم حركات ، السياسية و المجتمع ، ص 309 .

4 محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ط1 ، دار القاهرة 2008 ، ص 272 .

5 محمد السيد أبو رحاب ، المرجع السابق ، ص 282 .

الجامع : محمد بن أبي القاسم الحسيني (ت988هـ) و أحمد بابا السوداني (ت 1036 هـ) [1]

2.2-المسجد الجامع باب دكالة :

شيدته عودة[2] أو مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورزازاتي، نسبة إلى قبيلة وزكيتة في إقليم ورزازات، و هي والدة السلطان أحمد المنصور الذهبي، و التي يقول عنها السعدي أنها كانت جارية[3]، لكن هناك بعض المؤرخين من يصفها بالحرة[4] و هو ما ينفي أنها جارية، تشير المصادر التاريخية أنها توفيت عام 1000 هـ[5] .

يورد لنا الناصري سبب بناء المسجد ، و هو أن العامة تزعم أن لالة مسعودة شيدت الجامع تكفيرا عن انتهاكها حرمة رمضان، بعد أكلها لفواكه في أحد بساتين قصورها، و هي في حال الوحم ، فندمت على ذلك وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها[6].

---

1 أحمد متفكر ، جامع الشرفاء بمراكش ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد 8 ، مطبعة إدويسعدن ، مراكش 1992 ، ص ص 238 239 .

2 الشيخة الصالحة العابدة ، بنت العديد من القناطر و إصلاح السبل و المساجد ، و بنت مسجد جمعة بمراكش المحروسة بباب دكالة . ابن القاضي ، ذرة الحجال في أسماء الرجال ، ج3 ، ص ص 182-183.

3 عبد الرحمن بن عبد الله السعدي ، تاريخ السودان ، وقف على طبعه هوداس ، مكتبة أمريكا والشرق ، باريس 1981 ، ص 206 .

4 الافراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ص 79، الناصري ،المصدر السابق ، ج5 ، ص 118 .

5 ابن القاضي، ذرة الحجال، ج3، ص 183، الإفراني، المصدر السابق، ص 79 .

4 الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 118، عثمان عثمان إسماعيل ، المرجع السابق ، ج5 ، ص696. ص696.

يقع الجامع بحي باب دكالة بالطرف الشمالي الغربي لمدينة مراكش، وهو يخمل اسم احد الأبواب القديمة لمراكش، فأطلق اسم هذا الحي على الجامع الذي لم يكن يحمل اسما عند إنشائه[1] .

و يحد الجامع من الناحية الغربية شارع باب دكالة و يطل بجزء من واجهته الشمالية على شارع ضيق يفصل الجامع عن الميضأة التابعة له، ويعرف بطريق العبدلاوية بينما الجزء المتبقي من هذه الواجهة و هو طرفها الشرقي أنشأت به مدرسة حديثة تعرف بالمدرسة العبدلاوية إلى جوار الجامع[2].

اختلف المؤرخون حول تاريخ بناء الجامع ، إذ يورد لنا المقري في كتابه المنتقى المقصور نصا عن الأوقاف التي حبستها والدة السلطان أحمد المنصور كتب في أخره " قالت ذلك و أشهدت به على نفسها حسبما وضعت به خاتمها المتضمن اسمها في أواسط شهر الله المحرم سنة خمسة و تسعين و تسعمائة "[3]، في حين يذكر الافراني أنه بني عام 965 هـ[4]، أما الناصري فيقول أن تاريخ تشييد تشييد الجامع هو سنة 995 هـ[5] .

1 أحمد بن محمد المقري ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1983 ، ص ص 63-65 .

2 محمد السيد أبو رحاب ، المرجع السابق ، ص 251 .

2 المقري ، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، تحقيق محمد رزوق ، ج1 ، مكتبة المعارف ،الرباط 1986 ، ص 259 .

4 الافراني ، المصدر السابق ، ص 79 .

5 الناصري ، المصدر السبق ، ج5 ، ص 117 .

انطلاقا مما سبق يمكن أن نرجح تاريخ بناء المسجد هو سنة 965 هـ و هو ما ذهب إليه معظم المؤرخين المعاصرين[1]، خاصة أن الناصري جاء متأخرا عن الافراني، و سنة 995 هـ ربما هو تاريخ نهاية البناء وتسجيل الأملاك الوقفية الخاصة بالمسجد .

3.2- الجامع الكبير بتارودانت [2] :

شيد هذا المسجد من قبل السلطان محمد بن أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله بأمغار أو الشيخ و بالمهدي (ت946 هـ) بعد أن خلع أخاه الأعرج[3]، و يعتبر المهدي هو المؤسس الحقيقي للدولة السعدية ، فقد بنى الأسس الأولى لدولة الأشراف السعديين، و قضى على ما تبقى من حكم الوطاسيين .

لقد تزامن بناء هذا المسجد مع تجديد بناء مدينة تارودانت وتحصينها وإصلاح قصبتها و أسوارها، و بناؤه لميناء أغادير سنة 947 هـ و بناؤه مدينة الصويرة القديمة[4] .

1 إبراهيم حركات ، السياسية و المجتمع ، ص 310 . Georges Marcais , op.cit , p 385

2 تارودانت : مدينة عظيمة أسسها الأفارقة الأقدمون و فيها نحو 3000 كانون ، تقع جنوب الأطلس الكبير ، بعيدة عنه بما يزيد عن أربعة أميال . الحسن الوزان ، المصدر السايق ، ص 117 .

3 الافراني، المصدر السابق، ص 22. مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ص27 .

4 إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، ص 387 .

يقع الجامع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة تارودانت بالقرب من باب الزركان أحد الأبواب القديمة للمدينة، يحده من الجهة الشرقية مقبرة قديمة دفن بها بعض العلماء، مثل ابن الوقاد التلمساني[1] و هو أول من دفن بها .

على الرغم من كبر هذا الجامع الذي يعد أحد أكبر المساجد السعدية مساحة، فإن المصادر التاريخية لم تذكر الكثير عن تخطيط الجامع وتاريخ إنشائه، و ذلك راجع إلى كون مدينة تارودانت من الحواضر المغربية التي لم تحظى بنفس الاهتمام الذي لقيته المراكز الحضارية الكبرى فاس ومراكش والرباط التي كانت تعتبر مراكز للقرار السياسي و الرخاء الاقتصادي[2].

لقد حظي الجامع بدراسة بعض المؤرخين المحدثين و جلهم من أبناء مدينة تارودانت، محاولة منهم إبراز تراث مدينتهم، و التطرق إلى التاريخ العلمي و الفكري لهذا الجامع[3] .

اختلفت آراء المؤرخين حول تاريخ بناء هذا الجامع ، فهناك من يرى أن محمد المهدي هو الذي أنشأ الجامع و المدرسة المجاورة له عندما أعاد بناء و تجديد مدينة

1 أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ، ولد بتلمسان و بها نشأ ثم رحل إلى تارودانت و عمل بها خطيبا ، و تولى الخطابة في كل من سجلماسة و فاس و مكناسة ، و تصدر لنشر العلم في تارودانت، توفي سنة 1001 هـ . الافراني ، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، تقديم عبد المجيد خيالي ، مركز الثرات الثقافي المغربي ، الدار البيضاء 2004 ، ص 175 . الرسموكي ، وفيات الرسموكي ، تحقيق محمد المختار السوسي ، ط1 ، مطبعة الساحل ، الرباط 1988 ، ص 42 .

2 محمد السيد محمد أبو رحاب ، المرجع السابق ، ص 233 .

3 محمد المنوني، الخزائن العلمية بمدينة تارودانت و ما إليها، مجلة دراسات، العدد 7 ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، أكادير 1995 ، ص ص 21-22 . محمد الحمداوي، من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية ، مجلة دعوة الحق ، العدد 1، السنة السادسة، مطبعة فضالة، المحمدية 1962 ، ص 21 .

تارودانت ، حينما اتخذها عاصمة لحكمه بإقليم سوس[1]، و البعض الآخر يرى أن المسجد قديم و قام محمد الشيخ بتجديده[2]، في ظل هذه الاختلافات حول تاريخ البناء، و عدم وجود أي نصوص زخرفية تؤكد تاريخ إنشاء الجامع نظرا للترميمات العديدة التي عرفها المسجد، و التشابه الكبير للنمط المعماري للمسجد مع باقي المساجد السعدية كجامع باب دكالة و المواسين بمراكش، و اتفاق المصادر التاريخية السعدية على اعتبار أن محمد المهدي هو من قام بتجديد مدينة تارودانت، يجعلنا نستنتج أن بناء الجامع كان بين سنة 923 هـ حين كانت تارودانت عاصمة حكم محمد المهدي بإقليم سوس كنائب عن أبيه وسنة 952 هـ لما صار محمد المهدي سلطانا على بلاد المغرب و انتقل إلى مراكش و جعلها عاصمة ملك السعديين[3] .

عرف الجامع عدة إصلاحات و ترميمات بعد العهد السعدي ، مما أفقد الكثير من زخرفته الأصلية، أهمها في العهد العلوي على يد السلطان الرشيد الذي أمر محمد بن علي بن أحمد الرسموكي[4] بترميم الجامع .

1 محمد حجي ، الحركة الفكرية ، ج2 ، ص 126 . إبراهيم حركات ، السياسية و المجتمع في العصر السعدي ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 1987 ، ً 309 .

2 محمد المختار السوسي ، خلال جزولة، ج4 ، المطبعة المهدية ، تطوان (د ت) ، ص 148.

3 محمد السيد أبو رحاب ، المرجع السابق ، ص 234 .

4 نسبة إلى قبيلة رسموكة في بلاد جزولة . محمد حجي ، الحركة الفكرية ، ج2 ، ص 580 .

4.2-جامع أبي العباس السبتي بمراكش :

شيده السلطان عبد العزيز بن أحمد المنصور الذي خلف والده بعد وفاته عام 1012 هـ، لكن لم يدم حكمه طويلا فقد قتل من قبل ابن أخيه السلطان عبد الله بن زيدان سنة 1018 هـ[1] .

يقع الجامع بحي تاغزورت، بالقرب من ضريح أبي العباس السبتي[2]، شمال مدينة مراكش، و قد سمي كلك بالجامع العباسي، يتألف المسجد من مكان الوضوء و المدرسة في الجهة الجنوبية من الضريح، إضافة إلى مساكن و أماكن للذبح.

يطل الجامع من الجهة الغربية و الشمالية على ساحة كبيرة مكشوفة تابعة لضريح أبي العباس السبتي، و من الجهة الشرقية يوجد المصلى الجنائزي الملحق بالجامع[3].

لم تشر المصادر التاريخية إلى تاريخ بناء الجامع بصفة دقيقة، لكنها ذهبت إلى أن السلطان أبي فارس بن أحمد المنصور الذهبي هو من أنشأ المسجد، إذ تذكر في حديثها عن هذا السلطان " و كان عظيم البطن أكولا، مصاب بمس الجن و يقال أنه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ العارف بالله العباس

1 الإفراني ، نزهة الحادي، ص 289 . الناصري ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 17 .

2- الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجى المعروف بالسبتي، ولد بسبة عام 524هـ، توفي بمراكش عام 601هـ و دفن بباب تاغزورت، و كان شيخه أبو عبد الله الفخار صاحب الشيخ الفقيه أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص 451-452.

3 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 292.

السبتي، و شيد بناءه و شحن الخزانة التي بقبلي الجامع المذكور بنفائس الدفاتر وتحف الكتب "[1].

يشغل الجامع مساحة مستطيلة الشكل، عبارة عن صحن في الوسط مكشوفة تحيط به أربعة أروقة، كما يضم أيضا بيت المنبر و بيت الخطيب و مصلى الجنائز و خزانة الكتب و بيت الاعتكاف، و قريبا من المسجد توجد الميضأة و المدرسة[2].

5.2 - جامع الفنا:

شرع السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي في بناء هذا الجامع تحت اسم جامع الهنا بمراكش، لكن الوباء الذي حل بالمدينة و ترك آثارا وخيمة على السكان، ثم وفاة المنصور دون اكتمال الجامع، جعل الناس يطلقون عليه اسم جامع الفنا[3].

6.2 - توسعة جامع القرويين بفاس:

استبدل السلطان أحمد المنصور الذهبي خصة الصحن الشرقية التي تعود للعصر الموحدي، و بنى فوقها قبة جميلة سنة 996هـ، يقول عنها المقري في كتابه روضة الآس." و قد رأيت هذه القبة و قد أكملت صنعتها إلى الغاية، و جعل على

1 الأفراني، نزهة الحادي ، ص290، الناصري، المصدر السابق، ج6، ص5.

2 محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق . gorges marcais, op, cit,p 294.

3 عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص205.، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 446.

خارجها و داخلها الذهب الأحمر و جعل مكان خصتها القديمة خصة عظيمة، سيق رخامها من بلاد أفرانسا بناها في سنة 996هـ"[1]

و قد أنشد أبو العباس أحمد بن القاضي أبياتا شعرية، يمدح فيها السلطان أحمد المنصور، و يصف من خلال روعة و زخرفة الخصة:

كهف الملوك أبو العباس أنشأني * بحر المكارم من معد بن عدنان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها * و من علاه سنام المجد أوطاني
أنشأني زمن التاريخ وافقه للدين * و الأجر بحر الجود أجراني[2]

ثم أضاف عبد الله الشيخ الخصة فوقها قبة بالجانب الغربي للصحن سنة 1018هـ، و قد طرزت القبة بباقات من الشعر و عبارات دينية،

نذكر منها:

بدائعي نسخت لما تلت سورا * من الجمال الذي أبدى به صورا
ابن الإمام الرضى المأمون قد عظمت * به قريش و سادت بالعلا معزا[3]

1 المقري، روضة الآس، ص21.

2- المقري، روضة الآس، ص21.

3- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج5، ص75.

الفصل الثالث: المدارس في الدولتين.

المبحث الأول : الدولة المرينية.

1- المدارس.

2 - الكراسي العلمية.

المبحث الثاني : الدولة السعدية.

1 – المدارس.

2- الكراسي العلمية.

المبحث الأول : الدولة المرينية

أقام بنو مرين نهضة علمية، من خلال إنشاء المدارس بمدينة فاس عاصمة الدولة، و جل الحواضر المغربية، كان ظهور المدرسة سابقا لهذا العهد، إذ تشير المصادر إلى وجود مؤسسات مماثلة كمدرسة الصابرين بفاس[1]، و مدرسة أبي الحسن الشاري بمدية سبتة، و مدارس الموحدين بمراكش، فقد أسس عبد المؤمن بن علي مدارس بمراكش و استدعى ابن رشد الثاني من أجل تنظيمها، و في مقدمتها المدرسة العامة لخريج الموظفين، و المدرسة الملكية لتعليم أمراء الدولة[2].

إن المدرسة المرينية عرفت شهرة واسعة، و استأثرت بجملة من الموارد الوقفية، و تطورت في عمارتها و زخرفتها، و هي لا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على ذلك[3].

تميزت المدرسة المرينية بأنها أنشأت من قبل السلاطين، فالمصادر التاريخية و الكتابات المنقوشة على جدران المدارس تشير إلى ذلك، فمثلا مدرسة الصفارين بفاس شيدها السلطان يعقوب المريني سنة 672هـ، بينما المدرسة البوعنانية بنيت من قبل السلطان أبي عنان فارس عام 756هـ[4] .

1 الحاج موسى عوني، دور الوقف في دعم الحركة العلمية بمدينة فاس خلال العصر المريني، مجلة دعوة الحق، العدد 404، مطبعة الأمنية، الرباط يناير 2013، ص33.

2 محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء 1989، ص17.

3 الحاج موسى عوني، المرجع السابق، ص33.

4 عبد الهادئ التازي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000 المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000، ص356.

تمتعت المدارس المرينية بكونها مؤسسة وقفية، كما تنص على ذلك وثائق الأحباس، فقد جاء في الكتابة الوقفية لمدرسة الصهريج أن السلطان أبو الحسن المريني حبسها على طلبة العلم و تدريسه، كما جعلت لكل مدرسة مرينية مجموعة من الأوقاف، لضمان تموينها و لإنفاق عليها، فقد شكلت المدرسة مؤسسة سلطانية في إنشائها، و ألحقت بها ممتلكات وقفية لتموينها و الإنفاق عليها، و بذلك يبرز اهتمام السلطة المرينية بالمدارس التعليمية[1].

من مزايا تلك المدارس احتوائها على بيوت خاصة بالطلبة و يتقاضى الطالب فيها راتبا، أو يزود بالمؤن و الثياب لمدة سبع سنوات[2]، و المدة التي يقضيها في تلك المدارس هي ستة عشر سنة[3]، كما اشتملت المدارس على هيئة إدارية تشرف عليها، و هي تتكون عادة من إمام ومؤذن و مدرس و أستاذ و قيم و بواب، والطالب لا بد أن يكون سنه من العشرين فما فوق، و وفرت الدولة للأستاذ كل ما يحتاجه[4].

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيين حصاد قرنيين من المجهودات العلمية، بفضل المرابطين و الموحدين في مجالات الثقافة والعلم و الأدب، و ما إن ظهرت دولة بني مرين حتى توسعت الحياة الفكرية لتشمل جميع المجالات و كافة الفئات ،كما تعددت مراكز التعليم وتنوعت، وفيما يلي سنذكر هذه المراكز .

1 الحاج موسى عوني، المرجع السابق، ص34.

2 مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق، ص182.

3 ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر ، بيروت 2007، ص 432.

4 مزاحم علاوي الشاهري، المرجع السابق، ص182..

لِختصّت المدارس عمومًا في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية وخاصّة الشريعة الإسلامية و الفقه على المذهب المالكي، حيث تولّى بنو مرين الدّفاع عنه و حمايته[1].

و قد انتقل نظام المدارس بشكله و وظيفته إلى مدينة فاس المرينية بعد ثلاثين سنة من تأسيس أوّل مدرسة حفصية في تونس و تعتبر الدولة المرينية، أكثر دويلات المغرب الإسلامي نشاطا و حيوية في مجال التشييد العمراني بصفة عامّة و بناء المدارس بصفة خاصّة، حيث أنفق سلاطينها على بنائها و تزيينها أموالا طائلة[2]، و اتخذوا حركة تشييد المدارس مظهرًا لسياستهم الدينية والعلمية، و بالتالي مظهرًا للتأثير السياسي والاجتماعي على رعاياهم ، رغبة في تحقيق أهدافهم الرّامية إلى إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائهم سياسيا و دينيا و إداريًّا، بعد قضائهم على دولة الموحّدين[3] ومحو تعاليم ابن تومرت و العودة بالمذهب المالكي إلى مكانته السابقة[4].

ولتحقيق ذلك أكثروا من إقامة المدارس في المغربين الأقصى والأوسط ، وقد انتشرت هذه العملية خاصة على عهد أبي الحسن و ابنه أبي عنان و منها :

1 شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج2 ، ترجمة محمد مزالي وبشري سلامة ، الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1969، ص 240. هوارية بكاي ، العلاقات السياسية والثقافية بين الدولتين الزيانية و المرينية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، تلمسان 2008 ، ص 151 .

2 Georges . Marçais, op cit , p 285 .

3 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 108.

4 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 65.

1.1- مدرسة الصفارين :

تعتبر من المدارس الأولى التي بناها بنو مرين، بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق (657-685هـ/1258-1286م) ، و سميت بهذا الاسم لأنها تقع بالقرب من السوق الذي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر، و لما تم بناءها عين لها السلطان المدرسين، و أعطى لطلبتها النفقة، كما زود المدرسة بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس[1]، و جاءت مدرسة الصفارين بسيطة في بنائها ، حيث يحتوي صحنها على صحن مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة، و تضم مصلى تقام فيه الصلوات[2]، و قبل وفاته بقليل سنة 685هـ/1286م، أنشأ السلطان أبو يعقوب مدرسة أخرى بمراكش[3]. و مسجدًا جامعا بمكناس يضم مدرسة، كما أنشأ مدرسة أخرى في فاس البالي في مسجد جامع القرويين و ابتنى في هذه الأخيرة دارًا لطلب العلم[4].

1 ابن خلدون ، العبر، ج 7، ص 210 . الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط 1991، ص 74. روجيه لو تورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت 1967، ص 28.

2 شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 241 .

3 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 324.

4 حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 29.

2.1- مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن:

بالمدينة البيضاء شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب سنة 720 هـ قرب الجامع الكبير[1] و انتهى من بنائها عام 721 هـ ، و هو ما نجده في نقيشة بالمسجد " فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه مولانا الحليفة الإمام أبي الخسن واسط سللك ملولك المرينيين ، حكم ما كان والدهم مولانا الخليفة الإمام المرحوم أبو سعيد "[2].

3.1 - مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى :

بناها الأمير أبو الحسن المريني في عهد والده السلطان أبو سعيد عثمان، واستغرق بناؤها عامين (721-723هـ) (1321-1323م)[3]، تقع بالقرب من جامع الأندلسيين بفاس، و هي عبارة عن مجّمع معماري متكّون من مدرسة الصهريج أوالمدرسة الكبرى و المدرسة الصغرى أو مدرسة السبعين، و دار للضيافة عرفت بدار أبي حبسة "، حسب اللّوح التأسيسي للمدرسة، لكن سقطت هذه الدّار كليا وأعيد بناؤها سنة 1946م[4].

تشتمل هذه المدرسة على حوض كبير يتوسط صحنها نُقِلَ إليها من الأندلس، عبر البحر، و هو حوض كبير من الرّخام الأبيض، و كانت تدعى أيضا بمدرسة

1 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 175.

2 عثمان عثمان اسماعيل ، تصويبات لبعض الأخطا بالمدرسة البوعنانية ، دعوة الحق ، ع 7 ، السنة 21 ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، نوفمبر 1980 ، ص 98 .

3 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 176 .

4 العربي لقريز ، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية وفنية) ، مذكرة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان 2001 ، ص 34 .

الرّخام، و لعلّ هذه التسمية تنسب إلى هذا الحوض، و قد وضع هذا الأخير في هذه المدرسة سنة 725هـ/1325 م، و بعدها حُوّل إلى المدرسة المصباحية بعد بنائها، ولا زال يتواجد بها إلى يومنا هذا.

تضّم هذه المدرسة كتلتين رئيسيتين: أولهما المدرسة نفسها والثانية قاعة الوضوء، ويتوسط هذه المدرسة صحن مستطيل، تليه قاعة الصلاة جنوبًا، و يقع مدخل هذه القاعة مع المدخل الرّئيسي للمدرسة[1].

لكن يبدو أنّ هذه المدرسة تعرّضت إلى تشوّهات كبيرة في زخارفها ولتدهور كبير في الفترة الإستعمارية و قبلها رغم الترميمات التي أجريت عليها في عهد السعديين الذين أعادوا بناءها بالكامل تقريبا [2].

4.1- مدرسة السبعين :

بناها الأمير أبو الحسن ، في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج (721-723هـ/1321-1323م) ، وتعدّ ملحقة لها لاتصالها بها و صغر حجمها الذي لا يتعدى نصف حجم مدرسة الصهريج ، و هي تتصل معها في الجدار الشرقي الجنوبي بواسطة باب يفتح على قاعة صلاة المدرسة الكبرى. - الصهريج - في الجدار الشرقي لها وسميت بمدرسة السبعين لأنها خصّصت للقراءات السبع[3] ، و تتكّون هذه المدرسة من صحن مكشوف و قاعة للصلاة و غرف للطلبة

1 العربي لقريز ، المرجع السابق ، ص 35.

2 العربي لقريز ، المرجع نفسه ، ص 37 .

3 كان يقرأ فيها القرآن على حسب التلاوات السبع المشهورة للقرآن و هي : قراءة نافع و قراءة ابن كثير الّداري وأبي عمر اليحصي و حمزة ابن حبيب و قراءة الكسائي. محمد بلامين ، المرجع السابق، ص 33 .

و المقرئين ، إلاّ أنّ هذه المدرسة هي الأخرى عانت التخريب ، فأجريت عليها ترميمات أفقدتها زخرفتها الأصلية ، بحيث أعيد تشكيل معظمها.

5.1- مدرسة العطّارين بفاس :

بناها السلطان أبو سعيد، و قد شرع العمل فيها سنة 723هـ/1323م. و انتهت سنة 725هـ/1325م[1].

6.1- المدرسة المصباحية بفاس:

بناها السلطان أبو الحسن بالقرب من جامع القرويين نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الياصلوتي، و هو أول من عين للتدريس فيها[2]، وتحتوي هذه المدرسة على مائة و سبعة عشر غرفة، و تحتفظ بسقف جميل من الخشب المنقوش، كما تمتاز بأناقة دهليزها و مصلاها[3]،وقد جلب السلطان أبو الحسن لهذه المدرسة من الأندلس بيلة من الرخام الأبيض و زنها مائة و ثلاث و أربعون قنطارا[4] .

و تحتوي المدرسة على بيوت للوضوء يفصلها عن مدخل القرويين مدخل مستقل حسبما يذكر التازي بأنّه توجد لوحة رخامية تصل الميضأة بأحد أبواب جامع القرويين يستعملها الطلبة كممرّ يمشون فوقها حفاةإلى المسجد بعد الوضوء مباشرة، و تعدّ هذه المدرسة أغنى المدارس المرينية لما توفّره لها عائدات الحبوس من غابات الزيتون و البساتين و خزائن الدباغة و الحوانيت التي تدّر بعائداتها على

---

1 Georges . Marçais, op.cit. , p 286 .

2 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 226 .

3 ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 272 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 56 .

4 الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 27 .

الطلبة و المدّرسين، لكن و رغم هذا الثراء إلاّ أنّ المدرسة عرفت تصدّعًا كبيرًا في هيكلها، فأغلقت تمامًا في مطلع القرن الماضي[1].

7.1- المدرسة البوعنانية بمكناس:

بعد اعتلاء أبي عنان عرش بني مرين شرع في بناء سلسلة من المدارس حملت اسمه، و منها المدرسة البوعنانية بمكناس التي بدأت الأشغال فيها على عهد السلطان أبي الحسن في حدود سنة 745هـ/1345م غير أنها لم تكتمل إلاّ في عهد ابنه و لذلك حملت اسمه و هي تقع بالقرب من الجامع الكبير بمكناس، وهي كمثيلاتها من المدارس المغربية تضم صحنا يتوسطه حوض مرّبع و قاعة للصلاة ، و غرف للطلبة موزعة على طابقين أرضي وعلوي، وبيوت للوضوء. وأهم ما يميّز هذه المدرسة مدخلها الشاهق الملبس بالنحاس والذي يشبه إلى حد ما بوابة جامع المنصورة بتلمسان و بوابة سيدي أبي مدين بالعّباد، أجريت لها ترميمات عديدة جعلتها تفقد أصالتها الفنية و الزخرفية و قد أعيد بناؤها كلية سنة 1919م[2].

8.1- المدرسة البوعنانية بفاس :

تدعى المدرسة المتوكلية كذلك ، و هو أحد ألقاب منشئها السلطان أبو عنان، و يقول عنها حسن الوزّان بأّنها تمتاز بروعة فائقة سعة وجمالاً[3]. و تعد هذه المدرسة ختامًا لسلسلة المدارس العظمى التي أنشأها بنو مرين.

---

1 عبد الهادي التازي ، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000 ، ج 2 ، ص 363.

2 العربي لقريز، المرجع السابق ، ص 48-، 49.

3 الحسن الوزّان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 215 .

9.1- مدرسة أبي الحسن - سلا :

تعتبر هذه المدرسة من أحسن المدارس المرينية شكلاً و رونقًا، و أرفع المباني القديمة و أتقنها و ضعا وإحكاما و لطفًا و ظرفًا و قد أودعها الصّناع من بديع الصنائع ما لا مزيد عليه من الحسن والإتقان وحالها اليوم شاهدة بذلك .

كان بنائها سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة، حسبما هو مكتوب على بابها نقشا في الخشب الذي هو فوق القوس الحجري و نصّ ذلك: «اقتضى أمر أمير المسلمين هذه السنة في أسعد حين لثلاث و ثلاثين بها أسّست و السبعمائة، أضرعوا الله في النصر له و أدخلوها بسلام آمنين». وتم بناؤها يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى عام اثنين و أربعين و سبعمائة حسبما هو مكتوب برخامتها المنصوبة بحائطها الجوفي بداخل المدرسة[1].

قام ببناء هذه المدرسة السلطان أبو الحسن المريني[2] دفين شالة المتوفي سنة 752هـ، و هو المعروف عند العامة بالسلطان الأكحل لشهرة لونه[3].

تمتعت المدرسة بأوقاف كثيرة كان قد أوقفها عليها السلطان أبو الحسن، لأجل العلم و العلماء و الفقهاء من الطلبة و المتعاطين القراءة وتوزيع الأموال التي تستفاد

---

1 محمد بن محمد بن علي الدكالي، تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا، تحقيق عبد العزيز الساوري، مجلة دعوة الحق، العدد 293، السنة 33، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، الرباط 1992 ، ص 128 .

2 محمد بن القاسم الأنصاري السبتي ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الرباط 1983 ، ص 28 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 175.

3 أبو الحسن المريني هو واسطة عقد الأسرة المرينية ولد في صفر 697هـ و بويع يوم الجمعة 25 ذي القعدة سنة 730هـ ، و توفي بجبل هنتاتة جنوبي مراكش ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأول سنة 752هـ، و نقل بعد دفنه بمراكش إلى شالة فدفن بها ، الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 118، 179.

من تلك ا لأحباس على من ذُكر من المدّرسين و المتعاطين ، كان الطلبة بها كثيرين جدًّا و المدّرسون، و يذكر أنّ الوزير ابن الخطيب السلماني ورد عليها فلقيه بها من شعرائها عدد كبير ينيف على المائة شاعر في مختلف القافيات و الأوزان وذلك ما جعله يفضل السكن بها مدّة من عمره عند خروجه من الأندلس[1].

درست مختلف العلوم بالمدرسة خاصة العلوم الدينية و سواها ما بين رسائل من علوم اللّسان و مقاصد من علوم الّدين و كماليات من علوم التصّوف و الفلسفة والصنائع، و قد ذكر ابن الخطيب أنّ أهل سلا في عصره أواسط المائة الثامنة للهجرة كانت لهم مشاركة في سائر العلوم وِاختصاص يبعضها التي لا يتعاطاها سواهم إ ذاك و الّدليل على الاختصاص المذكور أنّ أعيان علماء فاس في ذلك الزمان كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب و التصّوف عن أساتذتها كالعلاّمة الطبيب ابن غياث السلوي[2]، و الطبيب الماهر أبي الفضل العجلاني السلوي[3]، و كلاهما له تأليف في الطب و التشريح والعلاج ، و كانا يديران الأعمال العلاجية و الدراسة بمارستان أبي عنان المريني[4]، بداخل مدينة سلا في حدود 760هـ، و يأخذان علم التصّوف حالا ومقالاً عن الشيخ الصوفي سيدي الحاج أحمد بن عاشر الأندلسي[5].

1 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 129 .

2 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع نفسه ، ص129 .

3 نفسه ، ص 132 .

4 نفسه ، ص 133 .

5 نفسه ، ص 136 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 89-91 .

والخطيب الصالح أبي الحسن سيدي علي بن أيوب[1]، و الولي الكبير سيدي عبد العزيز الصنهاجي[2].

يقول أبو عبد الله الحضرمي البادسي في كتابه التاريخي المسّمى بلغة الأمنية[3]:"أنّ الإمام المشارك أبا عبد الله محمد بن المجراد السلوي[4] كان من أهل المشاركة في كثير من العلوم التي منها: الطب، و التشريح، و سواهما ".

وكان لهذا العهد من علماء سلا الأعيان أبو محمد عبد الله بن الصّباغ السلوي المتوفي عام 747هـ[5]، و الشيخ أبو الحسن علي بن موسى المطماطي السلوي المتوفي عام 773هـ، أوّل من درس بها العربية و الفقه و التفسير، و تولى مشيخة المدرسة لعهد السلطان بانيها، العلامة ابن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي المعروف بسلا إلى هذا العهد بسيدي علي الغرناطي[6].

وقد قال ابن الخطيب في الإحاطة في حقه: « يُكّنى أبا الخير، صاحبنا حفظه الله، حاله آية الله في الحفظ، و ثقوب الذهن و النجابة في الفنون وفصاحة الإلقاء، و خريج طبعه و تلميذ نفسه و مبرز اجتهاده إمام في اللغة العربية لا يشق له فيها غبار حفظًا و بحثا و توجيها و إطلاعًا وعثورًا على سقطات الأعلام ذاكر للّغات

1 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 91.

2 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 36 .

3 محمد بن تاويت الطنجي ، المصدر السابق ، ص178 .

4 محمد حجّي ، سيدي الإمام السلاوي 788هـ/1376م ، مجلة أبو رقراق ، جمعية أبي رقراق ، العدد 5 ، سلا سبتمبر 1991 ، ص 39- 40 .

6 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 34.

7 ابن الخطيب، الإحاطة ، ج4، ص ص 116-120 .

والآداب، قائم على التفسير مقصود للفتيا عاقد للوثيقة، مشارك في الفنون ينظم وينثر، فلا يعدو الإجابة والسداد سيلقي، الصدر، أبي النفس ، كثير المشا ركة مُجدي للصحبة.

رحل عن بلده مالقة بعد التبريز في العدالة و الشهرة بالطلب، فاستقر في المغرب بسلا و استوطن بها رئيس المدرسة بها، مجمهرًا بكرسيها فارعا بمنبرها بالواردة السلطانية يفسّو كتاب الله بين العشاءين شرقًا، كثير العيون، محذوف الفصول[1] ، بالغًا أقصى مبالغ الفصاحة مسمعًا على المحال النائية[2]، و يدرس بين الغدوات بالمدرسة دولاً في العربية و والفقه أخذه بزمام النبل مترامية إلى أقصى حدود الإطلاع، و حضر المناظرة بين يدي السلطان فاستأثر بشقص من وعيه، وأعجب بقوة جأشه وأصالة حفظه فأنمى جراياته و َوَّه به»[3].

ظلت هذه المدرسة السلاوية يتداول التدريس بها كبار العلماء ، وأعيان القضاة الواردين عليها من الآفاق تنفيذًا لشرط أبي الحسن المريني المحبس واغتناما لما يعود من النفع العام بتعليم العام و الخاص بحيازة جزء من مال الوقف يستعان به على لوازم الحياة .

فمن المدّرسين بها من أعلام أهل سلا الفقيه المشارك النظار أبو القاسم محمد بن داود بن الفخّار السلاوي[4]، كان يقوم على تدريس مختصري ابن الحاجب

1 في الإحاطة الفضول .

2 في الأصل النائية و في الإحاطة النابية.

3 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4، ص 116، 117.

4 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 33 .

الأصلي و الفرعي توفي آخر المائة الثامنة، والقاضي العلاّمة المشارك النظار سعيد العقباني التلمساني[1]، و القاضي الفقيه الفرضي أبو الحسن علي بن عطية المكناسي الونشريسي[2]، كلاهما ولي قضاءها لبني مرين، و من فقهائها القاضي العلاّمة المشارك أبو محمد عبد الله بن سعيد السلوي[3]، من أقران الذي قبله علما وتحصيلا، و زاد عليهم بالرّحلة إلى مصر و الحجاز فأضاف إلى معلوماته علًما جمًّا وأسانيد عالية، و ولده العلاّمة المشارك الرّحالة أبو سعيد فرج بن عبد الله بن أبي سعيد السلوي ، شيخ أشياخ الإمام ابن غازي المكناسي ، و الإمام العلاّمة المشارك المدرّس المقرئ أبو عبد الله محمد بن عمران النفزاوي السلوي المعروف بابن المجرد[4] و آخرين يطول تعدادهم.

آخر من درس بها العلوم من أهل عصرنا: الفقيه العلاّمة الفصيح البليغ السيد أحمد بن محمد بن موسى الحسناوي الهمساسي[5] الأصل السلوي الولادة و النشأة والقراءة و الوفاة و المدفن ، كان يقرأ بها علومًا متعدّدة كالنحو و البيان و المنطق والأصول و التوحيد و الفقه والحديث والتصوّف و سواها من سنة 1302هـ إلى سنة 1310هـ، حيث انقطع التدريس بها منذ ذلك الحين، و لعلّ السبب في ترك القراءة والتدريس بها راجع إلى مجاورتها للمسجد الأعظم و إضافة أحباسها لأحباسه وكونها

1 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص 178.

2 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص 144.

3 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 135.

4 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص136 .

5 نفسه ، ص137 .

ضيقة المساحة لا تسع حلقات الدروس المتعدّدة و تعدّد الفقهاء والتلاميذ والطلبة وتباين المعارف و العلوم و المسجد الأعظم جوارها متسع المساحةز

ويمكن أن تدّرس فيه سائر العلوم بسائر الأوقاف مع تعدّد المدرّسين والطلبة من غير حصول تشويش و لا اختلاط بخلاف المدرسة المذكورة ، فلا يتأتى أن يعقد فيها مجلسان في آن واحد، لكن استقرار الطلبةلم يزل معروفًا بها في القديم والحديث: و هناك يشتغلون بالمطالعة و الكتابة وحفظ أّمهات العلوم التي يدرسونها على أشياخهم بالجامع الأعظم ، و كثيًرا ما كان يستقر بها الفضلاء الصالحون و العّباد الزاهدون و آخر من ِلستقر بها من صلحاء عصرنا الفقيه المؤدب سيدي محمد بن سالم الحناوي[1] المتوفى سنة 1325هـ .

2 - الكراسي العلمية المرينية:

من أقدم الكراسي العلمية بالجامع القرويين، كرسي محراب الذي يرجع إلى بداية الدولة المرينية، و كان مخصصا لتدريس كتاب تفسير القرآن الكريم للثعالبي، و كتاب حلية الأولياء لأبي النعيم، ثم أضيف إليه كتاب الإيحاء لأبي حامد الغزالي و كتاب الشفا للقاضي عياض[2]، و قد تصدر للتدريس بهذا الكرسي مجموعة من العلماء خلال عهد بني مرين و في العصور اللاحقة[3]. كما نجد أيضا كرسي

1 محمد بن محمد بن علي الدكالي ، المرجع السابق ، ص 137 .

2 عبد الهادي التازي ، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000 ، ص .372

3 الحاج موسى عوفي، المرجع السابق، ص42.

لسليمان الونشريسي[1]، الذي يقعد بجامع الأندلس، بجانب المحراب، و كان محبسا لدراسة رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني، وله عدة أملاك وقفية[2].

و قام أيضا السلطان أبو عنان المريني بإنشاء كرسي أبي الحسن علي الصرصوري بالمدرسة البوعنانية، و هناك كرسي أبي الحسن الصغير، كان يدرس فيه كتاب التهذيب البراذعي في اختصار المدونة، بجامع الأذرع الذي يعرف الآن الحي الواقع فيه بفندق اليهودي[3].

لقد كانت الكراسي العلمية بجامع القرويين كثيرة العدد، و كان لكل كرسي أوقافه الخاصة التي حبسها الأمراء و المحسنون، و كلما زادت الكراسي العلمية زادت الأوقاف، فقد كان للوقف دور كبير في دعم الحركة العلمية.

يقصد بها وجود كرسي مصنوع عادة من الخشب، يجلس فوه الشيخ أوالأستاذ ليتمكن من إلقاء دروسه، و لم يكن الجلوس على الكراسي العلمي أمرا عاديا، بل هو من المراتب العليا التي يستلزم الوصول إليها توفر شروط علمية ومؤهلات أخلاقية مثل منصبي القضاء و الفتوى[4].

انتشرت الكراسي العلمية بجامع القرويين و المدارس و المساجد الأخرى في عهد المرينيين، إذ يصف لنا الحسن الوزان تلك الكراسي وأماكن تواجدها و عددها،

1 هو أبو الربيع سليمان الونشريسي، توفي عام 705هـ، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص515.

2 إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص160. الحاج موسى عوفي، المرجع السابق، ص43.

3 محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد4، السنة ة9، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، فيفري 1966 ، ص93.

4 الحاج موسى عوفي، المرجع السابق، ص41.

فيقول على جامع القرويين بفاس:" و في داخل الجامع، على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء و الأساتذة حيث يلقون على الشعب دروسا تتعلق بأمور دينه شريعته"[1].

كانت الكراسي العلمية مخصصة لتدريس العلوم الدينية و الأدبية اعتمادا على أمهات الكتب، حيث يقوم العالم بشرح الكتاب المحدد في الوصية الحبسية، و كان إقبال الناس من مختلف الفئات الاجتماعية على تحبيس الأملاك على هذه الكراسي، مما أسهم في تشجيع العطاء العلمي[2].

1 الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج1، ص 224.

2 الحاج موسى عوفي، المرجع نفسه، ص42.

المبحث الثاني : الدولة السعدية.

1 – المدارس :

كانت المدارس قبل مجيء السعديين مركزة أساسا في المدن وأصابها من إهمال الوطاسيين ما أصاب المساجد، فتعطلت و خربت ، و انصب اهتمام الدولة السعدية منذ البداية على إحياء المدارس القديمة، فكان أفضل إنجاز لهم إعادة بناء مدرسة بن يوسف بمراكش، شيدها[1] عبد الله الغالب على أنقاض مدرسة قديمة وبالغ في تزينها و زخرفتها.

برز في العصر السعدي عناية كبيرة بإنشاء المدارس بالبادية دون الحواضر، لذلك فإن المدارس القروية المنشأة أو المجددة في عهد السعديين تعد بالمئات، وهي مدارس شعبية يقوم بها الشعب بجهوده الخاصة، و لم تعرف قط إعانة خاصة، وكثير ما تكون في كل قبيلة مدرسة أو مدارس متعددة، إن كانت القبيلة كثيرة الأفخاذ، و هذه المدارس تسمى مدارس علمية، ليكون الفرق بينها و بين كتاتيب القرآن[2].

تأخر ازدهار و تطور المدارس في الشمال، خاصة فاس و مكناس إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر، بسبب تأخر وصول النفوذ السعدي إلى المناطق الشمال مراكش، و قد تزامن ذلك مع فترة حكم المنصور السعدي وأبنائه[3].

---

1 محمد حجي، المؤسسات الدينية بالمغرب، مجلة المناهل، العدد 18، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، يوليو 1980، ص121.

2 محمد المختار السوسي، سوسة العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية 1960، ص 154.

3 محمد حجي، المؤسسات الدينية، ص122.

ترجع ظاهرة انتشار المدارس السعدية بالبادية أكثر منها في الحاضرة إلى عدة أسباب، منها أن الحواضر العلمية قد خضعت للاحتلال الأجنبي في الشمال مثل سبتة و طنجة، وتعرض الحواضر الأطلسية للتخريب والدمار من قبل البرتغاليين على غرار مدينة أنفا و أزمور و آسفي والمدينة الجديدة.كمنا أقبل الشيوخ زوايا على تشييد المدارس لإيواء الطلبة، إضافة إلى سياسة السعديين الرامية إلى التقليل من نفوذ الزوايا من خلال بناء مدارس لمنافستها، و كذلك اعتماد الدولة السعدية على المتخرجين من مدارس البادية في الجنوب لتقلد المناصب الإدارية و العسكرية[1].

1.1- مدرسة ابن يوسف بمراكش (الغالبية):

تقع المدرسة داخل أسوار مدينة مراكش، وسط المدينة القديمة، قرب جامع ابن يوسف، أكبر مساجدها في ذلك الوقت، و يعو تاريخ تأسيس هذه المدرسة إلى عصر السلطان عبد الله الغالب (965-981 هـ) [2]، و قد نقش إلى لوحة من خشب على عتبة الباب الرئيسي" أقامي للعلوم و للصلاة على أمير المؤمنين وسيط خاتم الرسل اسمي الخلائق عبد الله المبين لمولانا أمير المؤمنين أبا أحمد عبد الله بن مولانا أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني أيد الله أمره بمنه"[3]

أشار ابن بطوطة في سياق حديثه عن مراكش إلى بناء السلطان الحسن النمريني لمدرسة بهذه المدينة، لكنه لم يذكر موقعها و تاريخ بنائها، إذ يقول: "

1 محمد حجي، المؤسسات الدينية، ص123، عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص95.

2 محمد حجي، المؤسسات الدينية، ص123، عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص95.

3 الناصري، المصدر السابق، ج5، ص38.

وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع و إتقان الصنعة، و هي من بناء الإمام مولانا أمير المؤمنين أبي الحسن رضوان الله عليه"[1] كما يتحدث الإفراني عن بناء هذه المدرسة، من خلال حديثه عن السلطان عبد الله الغالب بالله:" أنشأ مولانا عبد الله رحمه الله جامع الأشراف، و السقاية المطلقة بالجامع المذكور التي عليها مدار المدينة بالمواسين، و هو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التيس بجوار جامع علي يوسف اللمتوني "[2]، و يقول أيضا بأن هذه المدرسة من إنشاء السلطان أبي الحسن المريني و السلطان الغالب بالله قام بإعادة بنائها.

يفهم من ذلك أن السلطان الغالب أعاد بناء المدرسة سنة 970هـ قام بتجديد المدرسة المجاورة للمسجد، و التي نسبها الأفراني لأبي الحسن المريني دون أن يحدد موقعها.

في ظل رواية ابن بطوطة و الأفراني، تباينت آراء الباحثين حول تاريخ بناء المدرسة و مؤسسها، فقد رجح بعضهم أنها من إنشاء السلطان عبد الله الغالب السعدي سنة 972هـ، و يفند أن يكون قد أعاد بنائها مكان المدرسة المرينية، في حين ذهب آخرون أنها من إنشاء السلطان أبي الحسن المر يني، ثم جددها السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي[3].

1 أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان و مصطفى القصاص، ج2، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت 1987، ص 677.

2 الإفراني ، نزهة الحادي، ص107.

3 محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص314.

إن الأدلة التاريخية و الأدلة الأثرية المعمارية و الزخرفية، تشير إلى أن المدرسة المجاورة لمسجد بن يوسف بمراكش، و التي تحمل نفس الاسم، من إنشاء السلطان عبد الله الغالب بالله عام 972هـ، و أنها لم تكن تجديدا لمدرسة أبي الحسن المر يني، التي يبدو أنها اندثرت قبل بداية القرن العاشر الهجري[1].

فمن الناحية التاريخية، لم يشر الحسن الوزان خلال وصف لمدينة مراكش إلى هذه المدرسة، و ذلك خلال حديثه عن جامع ابن يوسف[2]، في حين يشير مارمول كربخال، في سياق حديثه عن المدرسة التي بناها يعقوب المنصور الموحدي بقصبة مراكش، بأنها صارت خرابا بعد بني سلطان المدينة (الغالب بالله) مدرسة جديدة في جنوب المدينة[3]، و خلال وصفه لهذا الجامع يقدم كربخال وصفا دقيقا للمدرسة فيقول:" و بقربه مدرسة كبيرة تحتوى على أربعمائة حجرة للطلبة بصحونها وممراتها... مع قاعات كبيرة للدروس و أروقة كبيرة للتفسح فيها"[4].

و من الناحية الأثرية فالنقوش التي ذكرناها سابقا، تشير إلى أن السلطان عبد الله الغالب بالله هو الذي بنى هذه المدرسة سنة 972هـ فقد ورد اسمه في تلك النقوش، كما أن عبد الله الغالب بالله كان مقيما بفاس كولي لعهد أبيه محمد الشيخ، و تأثرا بالمدارس المرينية، فأراد أن يقلدهم في ذلك[5].

1 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 314.

2 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص127.

3 مارمول كربخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1989 ، ص49.

4 نفسه، ص54.

5 محمد السيد أبو رحاب، المرجع نفسه، ص317.

تعتبر هذه المدرسة السعدية من أكبر مدارس المغرب و لا تزال تحمل اسم الأمير المرابطي علي بن يوسف مؤسس الجامع، و هي تشبه إلى حد كبير النمط المعماري للمدارس المرينية[1].

تشمل هذه المدرسة مساحة من الأرض مربعة الشكل، تخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف، بالجهة الشرقية منه بيت الصلاة و رواق بالجهة الجنوبية الشمالية، كما تضم أيضا مساكن للطلبة و مكان الوضوء، و قد استخدم الأجر في بنائها، بينما الأسقف و الأبواب و النوافذ من الخشب، و استخدم الرخام في بلاط الصحن و أعمدة بيت الصلاة، أما السطح مغطى بالقرميد[2].

2.1- مدرسة جامع باب دكالة بمراكش:

أنشأت من قبل مسعودة بنت أحمد الوزكيتي، زوجة السلطان محمد المهدي ووالدة السلطان احمد المنصور، كملحق للجامع الذي شيدته بحي باب الدكالة بمراكش، تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة الشكل، و تخطيطها عبارة عن صحن أوسط مغطى، و توجد من جوانبه الشرقية و الجنوبية الغربية مساكن لطلبة[3].

بنيت هذه المدرسة في الطرف الجنوبي للواجهة الغربية للجامع، لذا لا يظهر منها إلا ثلاث جهات، و هي أقل ارتفاعا من واجهات المسجد، يوجد المدخل

1 عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج5، ص100.

2 محمد السيد أبو رحاب، المرجع نفسه، ص318.

3 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق ، ص337.

الرئيسي للمدرسة بالجهة الشرقية، و قد زين هذا المدخل بالقرميد ذي اللون الأخضر، و بجانب المدخل ثلاث نوافذ مستطيلة[1].

يبلغ عدد حجرات الطلبة ثلاثة عشر، خمس منها في الجهة الشرقية والغربية، و ثلاث بالجهة الجنوبية، غير أن هذه الحجرات هدمت وأصبحت المدرسة مساحة مستطيلة خالية من البناء[2].

3.1- مدرسة جامع الأشراف بمراكش:

قام ببنائها عبد الله الغالب بالله السعدي، بجانب المسجد الجامع بحي المواسين سنة 970هـ، تقع هذه المدرسة إلى الغرب من جامع المواسين وهي محاطة بالمساكن و الحوانيت من الجهات الأربع ما عدا جزء من واجهتها الغربية، الذي يضم مدخل المدرسة، و قد تحولت اليوم إلى دور للسكان[3].

مساحة المدرسة مستطيلة، تخطيطها عبارة عن صحن في وسط مكشوف، وتحيط به أربعة أروقة، بجانبها مساكن الطلبة، كما ألحقت بها قاعة مستطيلة الشكل، كانت مخصصة للصلوات الخمس أو الدرس.

يقع مدخل المدرسة في الركن الجنوبي الغربي للمدرسة، و هو يوصل إلى سلم ينفتح على دهليز على يساره باب الميضاة، و في نهايته توجد باب تؤدي إلى صحن المدرسة، عدد مساكن الطلبة ستة و عشرون حجرة، موزعة على كل جهات

1 نفسه ، ص337.

2 نفسه، ص338.

3 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص339، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج 2 ، ص443.

المدرسة، و في شمال مدخل المدرسة توجد الميضأة و هي عبارة عن بناء غير منتظم[1].

4- مدرسة جامع أبي العباس السبتي:

شيدها السلطان عبد الله بن أحمد المنصور[2]، بجانب الجامع الذي شيده بحي باب تغزوت بمراكش، بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي العباس السبتي حوالي عام 1012هـ، و قد حمل هذا الجامع اسم هذا الصوفي، و كذلك المدرسة التي عرفت باسم المدرسة العباسية.

تقع المدرسة جنوب جامع أبي العباس السبتين و هي محاطة بالمساكن والحوانيت، و لا يظهر لها سوى المدخل الرئيسي، و هي عبارة عن صحن في الوسط مكشوف، تحيط به أربعة أروقة، تقع خلفها مساكن الطلبة.

المدخل الرئيسي يوجد الطرف الغربي للواجهة الشمالية للمدرسة، و هو باب خشبي، و تتكون المدرسة من طابقين، كما تطل مساكن الطلبة على الأروقة الأربعة التي تشرف على الصحن، و حجرات مسكن الطلبة ذات مساحة مستطيلة[3].

1 محمد السيد أبو رحاب، نفسه، ص340.

2 هو أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور الذهبي: بويع بمراكش بعد وفاة والده عام 1012هـ، و دخل في صراع مع إخوته على الملك، ثم قتل من طرف ابن أخيه عبد الله بن المأمون سنة 1018هـ . عبد السلام بن محمد الخياط القادري ، مختصر تاريخ الشرفاء، تحقيق عبد السلام المنصوري، دار الأمان، الرباط 2012، ص177.

3 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص ص 342-343.

2- الكراسي العلمية:

عرف المغرب الكراسي العلمية في عصر المرينيين لكن ازداد عددها وأهميتها أيام السعديين، و خصصت لها الدولة أوقافا كثيرة إضافة إلى العامة و الخاصة من الناس[1].

من الكراسي العلمية كرسي محصل المقاصد في التوحيد[2]،بجامع القرويين بفاس قرب باب الحفاة، أنشأه السلطان المنصور السعدي، وكرسي الموطأ و عمدة الأحكام في الحديث بالقرويين، و كرسي الأماني في تجويد القرآن الكريم بمسجد الشرفاء، من إنشاء الكوشي الدرعي[3].

و في مراكش نجد كرسي البخاري و كرسي مختصر خليل بجامع الشرفاء بالمواسين، أنشاهما السلطان عبد الله الغالب، و كرسي التفسير بمسجد أبي العباس السبتي، من قبل السلطان أبي فارس بن أحمد المنصور، و كراسي أخرى بجامع باب دكالة من قبل الحرة الوزكيتية والدة المنصور السعدي[4].

1 محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ج1، ص 119.

2 هذا الكتاب لأحمد بن زكري التلمساني العلامة شيخ التحقيق و الاتقان ، كان شيخ الفتيا و إمام التدريس ، صاحب النظم في علم الكلام محصل المقاصد، توفي سنة 899 هـ بالطاعون و دفن بتلمسان . محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني ، المصدر السابق ، ص 100 . ابن القاضي ، درة الحجال ، ج1 ، ص 90 .

3 محمد حجي ، الحركة الفكرية ، ج1 ، ص 120 .

4 التمنارتي أبي زيد عبد الرحمن ، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، تحقيق اليزيد الراضي ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت 2007 ، ص86 ,

و نجد كذلك أبو العباس سيدي أحمد بن علي المنجور، كان يقرأ التفسير على الكرسي الموجود عن يسار الباب المقابل لباب القراتين بجامع القرويين[1]، وكان بين المغرب و العشاء يقرئ صحيح مسلم على كرسي الكائن بالقرب من باب الكتبيين بجامع القرويين، و كان أبو القاسم بن سودة يدرس على كرسي الموجود عند باب مسجد الجنائز بعد صلاة الظهر، مختصرا بن الحاجب و العقيدة الصغرى للسنوسي[2].

و من الكراسي العلمية القديمة بالجامع الكبير بتارودانت كرسي البخاري وكرسي الرسالة و كرسي المهدي مختصر خليل، و يرجح أنها من إنشاء ووقف محمد المهدي الشيخ السعدي، مجدد هذه المدينة العلمية والدينية[3].

لم تكن تسند هذه الكراسي العلمية إلا للبارزين من العلماء بحسب تخصصهم، و لا يتولاها أحد منهم إلا بتكليف من السلطان، باستثناء الكراسي التي أنشأها الأفراد، فإنهم كانوا يعينون من يدرس عليها، و إذا تولى عالم كرسيا فإنه يظل عليه مدى الحياة، إلى أن يتنازل عنه لسفر طويل أو مرض ، كما فعل أحمد بن علي الزموري[4]، الذي تنازل عن كرسي السير بجامع القرويين، قبل وفاته لتلميذه علي

1 عبد الكريم كريم، المرجع السابق ، ص309.

2 نفسه ، ص 310 .

4 مصطفى بن عمر المسلوتي، الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10 و 11 الهجريين، مجلة دعوة الحق، العدد 325، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط 1997، ص50.

4 الفقيه النحوي ، أحد شيوخ فاس و أعلامها ، ولد عام 930 هـ ، كان متفننا في علم المقارئ السبعة، و كان السلكطان المنصور يبعث إليه في رمضان ليصلي به التراويح في مراكش ، لحسن صوته ، توفي عام 1001 هـ . الافراني ، صفوة من انتشر ، ص ص 179- 180 . التمنارتي ، المصدر السابق ، ص 141 .

بن عمران السلاسي[1]، و كذلك يحي السراج الذي تنازل عن كرسي التفسير في جامع القرويين لتلميذه أبي القاسم بن أبي النعيم[2]

هذه الكراسي العلمية ضمنت لأصحابها ، فضلا عن النباهة و الجاه رزقا لعيشهم، و كانت المورد الوحيد لبعض العلماء، مثل أحمد المنجور الذي لم يتول أي منصب في القضاء و الفتيا و الخطابة، و كانت أوقاف الكراسي تختلف فيما بينها ، فمثلا كرسي أحمد المنجور كان من أوفرها موردا لشهرته الواسعة ، إذ تسابق العلماء على كرسيه بعد وفاته[3] .

1 هو الفقيه القاضي الشهير أبو الحسن علي بن عمران السلاسي ، كان على خلاف مع الشيخ القصار ، تولى قضاء مراكش لفترة ثم عزل ، قبض عليه السلطان زيدان بن المنصور السعدي ، ثم قتله بالسم عام 1018 هـ . الافراني ، صفوة من انتشر ، ص 246 .

2 محمد حجي ، الحركة الفكرية بالمغرب ، ج 1 ، ص 120 .

3 محمد حجي ، الحركة الفكرية بالمغرب ، ج 1 ، ص 121 .

الفصل الرابع: الزوايا و المكتبات في الدولتين.

المبحث الأول : الدولة المرينية

1 – الـــزوايا:

2 – المكتبات :

المبحث الثاني : الدولة السعدية

1 - الـــــــزوايا :

2 – المكتبات :

المبحث الأول : الدولة المرينية

1 – الـــزوايا:

تعتبر الزوايا تطورا للربط، التي عرفها المغرب الأقصى مع الفتح الإسلامي إذ أن كل منها مخصص لإيواء المتعبدين و إطعام الفقراء، لكن توزيعها الجغرافي مختلف لما كانت عليه، و التي كان اغلبها على الحدود و الثغور، في حين انتشرت الزوايا داخل المدن المغربية[1].

ارتبط مفهوم الزاوية بمصطلحات متعددة كالشيخ و المريد و الفقير والطريقة، أما الطريقة فهي النهج الذي يختاره المتصوفة لأداء أورادهم وتعدد الطرق كالشاذلية و الناصرية و التيجانية و الدرقاوية و غيرها[2].

لتحديد مفهوم الزاوية في بلاد المغرب، يمكننا الوقوف عند قول ابن مرزوق الخطيب:" و الظاهر أن الزوايا عندنا بالمغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين، و أما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أرى في المغرب على سبيلها و نمطها الإرباط سيدي أبي محمد صالح"[3].

1 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص347.

2 عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج4، ص264.

3 ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص 413.

كان المغرب يستعمل كلمة الزاوية في العصر المر يني للدلالة على مؤسسات إحسانية، تشيد بأرباض المدن أو في الفلوات، برسم استقبال الوافدين عليه لإيوائهم والقيام بضيافتهم، و ذلك ما جاء في قول ابن مرزوق الخطيب[1].

لا زالت إلى اليوم بعض آثار الزوايا، و معالم عمارتها، تقدم تعريفا لها ابتدءا من زاوية أبي سعيد المريني (ت 731هـ) بشالة[2]، و زاوية سيدي عبد الله اليابوري داخل خلوة شالة، و الزاوية المتوكلية خارج فاس الجديد و زاوية النساك التي شيدها أبو عنان خارج مدينة سلا، إضافة إلى زاوية جد الأشراف القادريين بناها السلطان أبو سالم المريني سنة 762هـ[3].

لم يظهر مصطلح الزاوية في المغرب قبل القرن السابع هجري، و ربما كانت زاوية أبي محمد صالح بآسفي، من أولى المؤسسات التي حملت هذا الاسم ببلاد المغرب، و منه فإن نشأة و ظهور الزاوية بالمغرب يعود للفترة المرينية، خاصة أن المصادر التاريخية تشير إلى ذلك، إذ يشير ابن أبي زرع إلى أن السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق، قد بنى الزوايا لإيواء عابري السبيل و المحتاجين و أوقف لها العديد من الأحباس[4].

1 محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين، ص67.

2 شالة مدينة صغيرة بناها الرومان قرب نهر أبي رقراق، على بعد ميلين من البحر و ميل من الرباط، خربت من قبل برغواطة، و أعاد المنصور بناء أسوارها، و بنى بها زاوية رائعة، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص203. مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص130.

3 عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج4، ص264. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، ص161.

4 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص90.

إن اهتمام المريبين بالزوايا، و إقامة عدد كبير منها، يعود اهتمامهم بالتطور العالمي بالمغرب، خاصة في الميدان الروحين مما جعلها مراكز تعليمية هامة، إلى جانب كونها مرافق اجتماعية، كما أن بعض الزوايا تمردت على السلطة الوطاسية، إذ أن بعض العلماء كالجازولي و التباع و غيرهما، يؤسسان زاويتين[1].

شيد المرينيون العديد من الزوايا سواءا بالمغرب الأقصى أو بالمغرب الأوسط عند احتلالهم له كزاوية سيدي الحلوي . أما عن زوايا المغرب الأقصى فهي كثيرة، مثل زاوية مقبرة سلا[2]، و الزاوية المتوكلّية التي بناها السلطان أبو عنان نفسه وبنفس المدينة و هي معاصرة لزاوية سيدي الحلوي[3].

ويسبق ذلك كلّه رباط تافرطاست[4] أو زاوية تافرطاست التي بناها أبو يوسف يعقوب سنة 684هـ/1285م[5] بالقرب من مكناسة، والتي خصّصت لتلاوة القرآن على روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو وولده إدريس اللّذين قتلا

1 عبد الجواد السقاط، الزاوية المغربية في العصر السعدي، القسم الأول، مجلة دعوة الحق، العدد 264، مطبعة فضالة، المحمدية 1987، ص54.

2شيّد السلاطين المرينيون هذه المقبرة في سلا بجوار الرباط دفن أكثرهم فيها مثل: أبي يوسف، وابنه أبي يعقوب ، و وأبي ثابت و أبي سعيد عثمان، و آخرهم أبي الحسن الذي أجرى فيها أعمالاً جليلة وأحاطها بسور حيث وجد نصّ تأسيسي في لوحة منقوشة بكتابة نسخية كانت تعلو المدخل التذكاري للمقبرة حيث تشير إليها بصيغة رباط و في تاريخ يعود لفترة أبي الحسن. و بنيت داخل أسوار هذا الرباط العديد من القباب والأضرحة على قبور السلاطين المرينيين ومن دفن معهم من العلماء والأولياء. كما ضمّت هذه الأسوار مصلّيات أو خلوات أو زوايا أهمّها الخلوة أو الزاوية المعروفة باسم خلوة سلا التي أسسها أبو الحسن قبل وفاته بأربعة عشر سنة . السبتي محمد بن القاسم، المصدر السابق ، ص 50 . Georges Marçais, op.cit , p 282

3 ابن الحاج النميري ، المصدر السايق ، ص ص 93-94 .

4 ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 435.

5 ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 257.

في معركة واجرهان سنة 614هـ/1217م، ضدّ بني عمومتهم بنو عسكر ومناصريهم عرب رياح[1].

وقد اِختلف ابن أبي زرع و ابن خلدون في التعبير الإصطلاحي للمبنى الذي شّيده أبو يوسف ، فالأول يسميه الزاوية و الثاني يسـّميه الّرباط ، ممّا يؤّدي بنا إلى توحيد المعنى و تشابه الوظيفة.

و يقول ابن مرزوق في هذا الصّدد : «و الظاهر أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين، و أّما الّربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها و نمطها إلاّ رباط سيدي أبي محمد صالح و الزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكريا يحيى بن عمر (نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها. و لم أَر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكّان و صفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم»[2].

2 – المكتبات :

اهتم سلاطين بني مرين أيضا بجمع الكتب وإنشاء المكتبات وتأسيس المدارس، وتنقسم خزائنها إلى خزائن ملكية وخزائن أميرية وهي:

خزانة السلطان يوسف بن يعقوب المريني[3] .

جاء ذكرها في كتاب (الامتتاع والانتفاع في معرفة أحكام السماع) لمؤلفه الدراج السبتي .

1 ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 33.

2 ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 413.

3 ابن خلدون العبر، ج 7 ، ص 83

خزانة السلطان أبي سعيد المريني الأول[1] .

وإليها تنسب بعض المخطوطات من ربعات قرآنية، ثم نسخة من الشمائل الترميذية.

خزانة السلطان أبي الحسن المريني:

ذكرها ابن خلدون في حديثه عن المصحف العثماني والمصاحف المهداة للحرمين الشريفين، وقد وقعت في عهد هذا السلطان كارثة أتت على ثروة ثقافية وعلمية تاريخية مغربية، حيث تعرض الموكب البحري لهذا السلطان للغرق والذي كان يشتمل على ستمائة 600 مركب بحري من الأسطول المغربي أمام سواحل مدينة بجاية بالجزائر أثناء رجوعه من تونس إلى المغرب بحرا، وكان بصحبته 400 من أعلام المغرب ما بين عالم وفقيه ورجل دولة، وقد كانوا من مرافقي السلطان أبي الحسن المريني، ومن أبرزهم، العلامة أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي، شارح الحوفي.

والعلامة أبو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسي، الذي أملى في مجلس درسه بمكناسة على حديث يا أبا عمير، أربعمائة فائدة، والعلامة الأستاذ أبو العباس أحمد الزواوي[2]، بالإضافة إلى ضياع المصحف العثماني، وهو أحد المصاحف الأربعة التي بعثها الخليفة عثمان بن عفان إلى الأقطار الإسلامية، وهذا المصحف كان من نصيب المغرب، وكان من ذخائر ملوكه، يتوارثونه بينهم ملكا بعد ملك،

1 المراكشي، المعجب ، ص 156

2 الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 69

ودولة بعد دولة، إلى أن قدرت له هذه النهاية، وقد وقعت هذه الكارثة أمام ساحل تدلس بالجزائر، وذلك في سنة 750 هـ.

خزانة السلطان أبي عنان المريني:[1]

ذكرها الكزنائي في تأريخه أن هذا السلطان أنشأ خزانة خاصة في القصر السلطاني بفاس، مع خزانة أخرى مرينية بجامع القرويين.

خزانة السلطان أبي سالم المريني:[2]

ورد ذكرها بسبب مجلد ضخم يوجد بخزانة القرويين لكتاب بعنوان (عمل من طب لمن حب)، والذي كتب مؤلفه ابن الخطيب مخطوطة منه باسم السلطان أبي سالم المستعين بالله المريني .

خزانة السلطان أبي فارس موسى المريني:

ورد ذكرها في تقديم الخزاعي كتابه (تخريج الدلالات السمعية) إليها خزانة السلطان أبي سعيد الثاني وهي أيضا من خزانات العهد المريني الأخير.

1 المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ص 100

2 المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ، ص 111

المبحث الثاني : الدولة السعدية

1 - الزوايا :

تزايد عدد الزوايا في العصر السعدي، وزاد نفوذها، و خلدت مواقفها المختلفة، سواء على صعيد الدين أو العلم أو السياسة، فقد كان شيوخ الزوايا دور في وصول أبي عبد الله القائم السعدي إلى الملك[1].

لقد نشأت الزوايا الأولى الرئيسية في نهاية القرن الثامن الهجري، ثم تكتلت بعضها بزعامة محمد بن سليمان الجزولي في القرن التاسع الهجري، من أجل مباشرة الجهاد بعد سقوط سبتة ، أما الزوايا التي تعاونت مع السعديين ضد البرتغاليين منذ نشأة هذه الدولة ، فهي زاوية سيدي أبي البركات في تيدسي و زاوية أحمد موسى بسوس و زاوية تمصلوحت بحاحا، و هكذا نتشرت الحركة الجزولية بأنحاء كثيرة من البلاد ، خاصة منطقة سوس و مراكش[2].

تطورت الزوايا في عصر السعديين لتبح تجمعا بشريا على هيئة قرية أو مدينة، و كان لبعضها فضلا عن مهمة العبادة و التعليم، آثار كبيرة في نشر العلم وازدهاره على مستوى المغرب، و كان الزاوية الحضرية كثيرة الأتباع متعددة الأنشطة[3].

كثرت الزوايا في عهد الأشراف السعديين، و كاد عددها يفوق عدد المساجد، وقد نجح السعديون إنشاء قوة نفوذ دولتهم في صرف العديد من شيوخ الزوايا عن الخوض في الساسة، فتحولت زواياهم إلى مراكز تعليمية نشطة، لكن بمجرد ضعف

1 الناصري، المصدر السابق، ج5، ص26.

2 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 344 .

3 عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج5، ص64. عبد الجواد السقاط

الدولة السعدية بعد وفاة السلطان المنصور الذهبي سنة 1012هـ، حتى قامت بعض الزوايا بحركات انفصالية، وأنشأت دويلات مستقلة، و من أبرز هذه الزوايا الزاوية الدلائية[1]، و قد عرفت الفترة الأخيرة من حكم السعديين، بفترة أمراء الزوايا الذين ضربوا السكة وخطب باسمهم على المنابر[2].

لم يكن إنشاء الزوايا من طرف العلماء و الشيوخ، بمباركة من السلطة السعدية، خاصة في عصر قوتها، و مع ذلك فإن الضريح الذي شيده السلطان أحمد الأعرج بمراكش لدفن محمد بن سليمان الجزولي و والده محمد القائم، قد صارت نواة لمؤسسة دينية و علمية، سميت بزاوية سيدي سليمان الجزولي[3].

لقد بلغ أرباب الزوايا في هذه الفترة درجة كبيرة من تقدير العامة وتعظيمهم، مما يدعو على الحيطة و الحذر، إذ يقول الناصري:" لما كانت سنة ثمان و خمسين و تسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أرباب الزوايا و المتصدرين للمشيخة خوفا على ملكه منهم لما كان العامة فيهم من الاعتقاد و المحبة و الوقوف عند إشارتهم[4].

تطور موقف السعديين من الحيطة و الخوف، إلى مقاومة نفوذ الزوايا حفاظا على استقرار البلاد، لكن ذلك لم يمنع السلاطين من احترام و تقدير شيوخ الزوايا، إذ

1 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص348. محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص81.

2 عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ج5، ص64.

3 محمد السيد رحاب، المرجع السابق، ص348.

4 الناصري، المصدر السابق، ج5، ص26.

أن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ قد أقام قبة على ضريح الإمام أبو عبد الله المسناوي[1].

1.1- الزاوية الجزولية بمراكش:

في مدينة مراكش غير بعيد عن ضريح الأشراف السعديين، يوجد مجموع معماري يضم مسجد و ضريح و مسيد (كتاب) و سبيل و مضيفة و حمام، تعرف جميعها بزاوية سيدي سليمان الجزولي، و يحدها من الجهة الجنوبية و الغربية مقبرة قديمة سابقة على بناء الزاوية كانت تعرف بقبور الأشراف[2].

شيدت الوحدات المكونة لهذه الزاوية على فترات متتالية ، فالضريح الذي يضم رفاة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي على يد السلطان أحمد الأعرج سنة 930هـ،بعد أن قام بنقل رفاة هذا الصوفي و والده القائم من أقفال[3]، ثم صار هذا الضريح النواة للمنشآت المكونة للزاوية[4].

1 الفقيه المحدث الأستاذ الكبير، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو المنساوي له دراية بالعلوم، و حجة في همه الإدراك الفهوم، توفي عام 1136هـ. محمد الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، مخطوط، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم د.2809، ص224.

2 الافراني، نزهة الحادي، ص22. الناصري، المصدر السابق، ج5، ص ص 34-35.

3 الافراني، نزهة الحادي، ص60. الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 15.

4 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص349.

بعد مقتل السلطان أحمد الأعرج بمدينة مراكش سنة 964هـ، على يد عامل المدينة علي بن أبي بكر، قام الشيخ أبو عمر القسطلي[1]، بدفنه بالمقبرة المجاورة لضريح الجزولي، التي كانت تعرف بقبور الأشراف، ثم قامت عائشة إبنة هذا السلطان بإنشاء قبة على قبره، هي القبة التي تقع إلى الغرب من الصحن المكشوف قرب ضريح الجزولي[2].

تشغل هذه الزاوية مساحة من الأرض غير منتظمة، محاطة بسور مرتفع، يجمع بداخلها لوحدات المعمارية المختلفة التي تتكون منها الزاوية، و هي عبارة عن صحن مكشوف في الوسط، إلى الشمال منه قاعة مربعة تمثل ضريح الجزولي، وإلى الجنوب من الصحن جامع الزاوية[3]، بالإضافة إلى مكتب التعليم الصبيان، وسقاية و مسكن لمقدم الزاوية ورئيس الطريقة، و دار للضيافة و استقبال الغرباء ومضيأة و فرنان وحمام[4].

1 أبو عمر بن أحمد الأمين بن أبي القاسم القسطلي، المراكشي الدار و المنشأ و المدفن، الغوت العارف بالله، ولد عام 912هـ بمراكش، و توفي عام 974هـ، من أعيان مراكش و ذو الحسب و الأصالة. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج1، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط 1993، ص330.

2 محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص349.

3 يتميز هذا الجامع في خصائصه و عمارته جامعي المواسين و باب دكالة ، و المسجد عبارة عن بيت الصلاة و خمس بلاطات، و صحن المسجد مربع، تحيط به مجنبات من رواق واحد من كل الجهات، عشمان عشمان إسماعيل، المرجع السابق، ج5، ص ص65-66.

4 محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص351.

2.1- الزاوية الدلائية:

ينسب الدلائيين إلى قبيلة مجاط، إحدى فروع صنهاجة، و كانت مساكن مجاط قبل انتقالهم إلى الدلاء[1]، على ضفاف نهر ملوية، ثم تفرقوا و استقروا في جهات مختلفة من المغرب، وأول من سكن منطقة الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر محمد بن سعيد الدلائي[2]، مؤسس الزاوية الدلائية في أواخر القرن الثامن الهجري[3].

لا يعرف بالضبط متى تأسست الزاوية الدلائية، لكن يمكننا أن بأنها وجدت في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، أسسها أبي بكر بن محمد سعيد الدلائي، بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي، فقد كان الشيخ قسطلي يطعم و يأوي الوافدين على زاويته بمراكش، فأمر أبا بكر الدلائي أن يقيم زاوية له في أرض الدلاء، فأنشأ بذلك الزاوية الدلائية البكرية[4].

1 الدلاء نسبة إلى الدلو أو الإناء، أو ربما هو تحريف لكلمة تادلا الموطن الذي وجد فيه قبيلة مجاط، عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، الرباط (د ت) ، ص191. و هي بلدة غير بعيدة عن فاس، العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج1، ص214.

2 أبو بكر الدلائي، الولي الكامل، الشيخ الفاضل، الصالح، هو من أكابر شيوخ المسلمين، واحد عصره، تلميذ الشيخ أبي عمر القسطلي، ولد عام 943هـ، و توفي عام 1021هـ، و دفن بالدلاء، العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج1، ص ص 209-214.

3 محمد حجي، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي، المطبعة الوطنية، الرباط 1964، ص 29.

4 تسمي بالبكرية نسبة لشيخها أبي بكر.

اختلفت آراء المؤرخين حول موقع الزاوية، لا يعرف بالضبط موقع هذه الزاوية الآن، وإنما المحقق أنها كانت تقع ناحية وادي أم الربيع قريبا من تادلا، و قد اشتهر بعض الدلائيين بنسب المسناوي[1].

تعتبر الطريقة الشاذلية للإمام أبي القاسم الجنيد، من أكثر الطرق الصوفية انتشارا في بلاد المغرب، إذ تعتبر الطريقة الرسمية في بلاد المغرب، إلى جانب المذهب المالكي في الفقه، و العقائد الأشعرية في التوحيد[2]، و قد أخد الشيخ أبو بكر الدلائي الطريقة التصوف عن الشيخ أبي عمر القسطلي الذي أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاجي المعروف بالفلاح[3]، تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشي[4]، الذي أخذ عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي[5].

عني الشيخ أبو بكر الدلائي في زاويته بالعلم و العلماء، و عنايته بالتصوف، و اهتم كثيرا بتعليم أبنائه الستة، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية، و منهم من انتقل إلى مدينة فاس ليتعلم فيها، حتى إذ اكتمل تعليمهم أقبلوا

1 محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص34.

2 يقول عبد الرحمان بن عاشر يف كتابه المرشد المعين: في عقد الأشعري وفقه مالك و في طريقة الجنيد السالك، أبو محمد عبد الواحد بن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، دار القاهر للطباعة، القاهرة (د ت)، ص2.

3 توفي عام 933هـ، و دفن بمراكش، كان السلطان السعدي محمد الشيخ يزور ضريحه، و هو من أصحاب الشيخ التباع و خليفته عندهم، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المخطوط السابق، ص51.

4 عبد العزيز التباع، شيخ المشايخ،ولي الله العارف به المعروف بالحرار، نسبة لصناعته الحرير، صحب القطب أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، توفي سنة914هـ، و قبره مزارة عظيمة بمراكش على مقربة من جامع ابن يوسف، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المخطوط السابق، ص67.

5 محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص48.

على التدريس بالزاوية، و قد تكاثر عدد الطلبة و العلماء، و اتسع عمران الزاوية حولها، من دور و أسواق و مكتبات ومدارس لسكنى الطلبة[1].

استطاع الدلائيون تحقيق هذه النهضة العلمية، انطلاقا من ما تركه أجدادهم، من حقول شاسعة في سفوح الأطلس المتوسط، الشرقية والغربية، و قطعان كثيرة من الماشية في ملوية العليا و جبال تادلا، و لم ينقطع الإطعام بالزاوية الدلائية، و الذي خصص للطلبة و العلماء و المريدين وعابري السبيل[2].

بلغت الزاوية الدلائية أوج عظمتها، و غدت مساجدها و مدارسها ومكتباتها تضاهي ما كان موجودا في فاس و مراكش، و لما تولى محمد الحاج الدلائي[3]، قام ببناء زاوية جديدة على غرار مدينة فاس، و انتقل إليه بحاشيته و بعض علماء قومه، لكن الزاويتين لم تعمرا طويلا، فقد اجتاحها جيوش الرشيد بن الشريف عام 1079هـ و خربتها[4].

بلغت الزاوية الدلائية مكانة علمية راقية، تضاهي مدينة فاس و من أشهر الذين درسوا في هذه الزاوية عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي (ت 1020 هـ) الشاذلي بن محمد الدلائي، و المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي، أما أشهر التلاميذ منهم الحسن اليوسي، أحمد المقري والعربي الفاسي[5].

---

1 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص499.

2 محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص30.

3 محمد الحاج الدلائي، عالم صوفي، تخرج في فاس على يد الإمام القصار، برز في التفسير والحديث، محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص501.

4 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص500.

5 محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص97.

3,1- زاوية أبي البركات تيدسي[1]:

ولد أبو البركات محمد بن أبي بكر التيدسي في مدينة تيدسي جنوب غرب تارودانت، و هي شبه واحة صحراوية تقع بالأطلس الصغير، و قد نشأ أبو بركات التيدسي في بيئة محافظة بمنطقة سوس، لا يعرف بالضبط تاريخ ولادته، بدأ تعلمه الأولي، فحفظ كتاب الله إذ يقول عنه الحضيكي:" بركة بن محمد بن أبي بكر التيدسي، كان رضي الله عنه، أستاذا قارئا لكتاب الله، تاليا بروايات عابد ناسكا واليا صاحا، توفي رحمة الله عليه عام أربعة و ثلاثين و تسعمائة"[2].

قال عنه الرسموكي:" المرابط الأستاذ سيدي بركة التدسي، و هو بركة بن محمد أبي بكر، مات رحمه الله في السابع عشر من جمادى الثانية عام 934هـ.[3]

كان أبو بركات التيدسي يتمتع بنفوذ روحي كبير في بلاد سوس، و هذا ما جعله يحظى بمكانة رفيعة لدى السكان، يشرف على الجهاد في منطقة سوس، إذ وقف في وجه الحملات البرتغالية في تيدسي و منطقة سوس[4].

1 تيدسي مدينة كبيرة تحتوي أربعة آلاف كانون، على بعد ثلاثين ميلا من تروادنت، و ستين ميلا من البحر، و هي منطقة خصبة، و قد دخلت تيدسي عام 920 في طاعة الشريف الذي اتخذها عاصمة له، الوزان، المصدر السابق، ج1، ص119.

2 الحضيكي، المصدر السابق، ج1، ص185.

3 الرسموكي أحمد، وقيات الرسموكي، تحقيق محمد المختار السوسي، ط1، مطبعة الساحل، الرباط 1988، ص38.

4 عبد الله حاجي، الدولة السعدية، آليات التطور و مظاهر التدهور، مكتبة أفريقيا و الشرق، الدار البيضاء 2013، ص27.

انتقل الشيخ أبو بركات التيدسي للتدريس، حيث ضبط علم القراءات المبنية على ما جاء في مؤلفات الشاطبي و ابن الجزري و ابن بري وغيرهم، و من علماء هذا العلم حسين الشوشاوي[1]، و يحي بن سعيد الكرامي صاحب شرح الدرر للوامع في شرح قراءة نافع.

استفاد أبو بركات التيدسي، من الحركة العلمية التي انتشرت في عصره، فقد كان لما يدرس بجامع القرويين إثر بالغ على مدارس سوس، من خلال مجموعة من العلماء أمثال ابن غازي[2] و أحمد بن يحي الونشريسي[3]، كان عصر أبي بركات عصر ازدهار العلم في بلاد سوس، جاء القرن التاسع الهجري فاتحة خير، و طلع بفجر جديد، ففيه بدأت النهضة العلمية، و انتشر التعليم و التدريس و كثرت التآليف[4].

1 حسين الشوشاوي هو حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الوصيلي الشوشاوي، صاحب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، له نوازل في الفقه و شرح مورد الظمآن و تنقيح القرافي، توفي أواخر القرن التاسع بتارودانت بسوس، أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، تحقيق محمد مطيع، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية 2000، ص192. أحمد بن محمد الحضيكي، المصدر السابق، ص189.

2 محمد بن أحمد بن غازي الفقيه المشاركن ذو التآليف الحسنة، الخطيب بعبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000، توفي عام 919هـ و دفن بفاس، ابن القاضي، ذرة الحجال، ج2، ص147. التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص622.

3 أحمد بن يحي الونشريسي أبي عباس، الفقيه الكبير الحافظ النوازلي أخذ عن شيوخه التلمسانيين مثل أبي سالم العقباني و أبي عبد الله محمد العقباني و ابن مرزوق الكفيف و غيرهم، كان يدرس بمسجد الشراطين بفاس، توفي عام 914هـ، أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط 1976، ص50. التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1، ص131.

4 عبد الله حاجي، المرجع السابق، ص28.

كان للشيخ أبي البركات التيدسي دور كبير في تعليم علوم القرآن و الحديث فالعصر السعدي تميز باستقرار سياسي و امني أفضل من العصر الوطاسين مما ساهم في تطوير الحركة العلمية، إن العلماء في العصر السعدي كانت لهم مكانة راقية من خلال قيامهم بنشر العلم[1].

لذلك فقد تمتع أبو البركات التيدسي، بمكانة علمية و روحية بين قبائل سوس، فقد كان له دور كبير في توجيه حركة الجهاد ضد البرتغاليين، و مساهمته الكبيرة في نشر العلم بزاويته، و لم يقتصر دور هذه الزاوية على العمل التعليمي، بل كان عملوا على حل المشاكل السياسية و الانحرافات الاجتماعية[2].

انتشرت في جنوب المغرب خاصة سوس الدراسات اللغوية و الأدبية وكتاب سيبويه، الذي لم يكن معروفا في فاس، كان يدرس في بعقيلة بسوس، و في زاوية تيدسي[3].

كان الشيخ أبو بركات أستاذ مرابط، يلازمه مجموعة من الطلاب لتحصيل مختلف العلوم، قصد الحصول على الإجازات العلمية، التي تعتبر شهادة لتقلد مناصب القضاء و الخطابة و الفتيا و التدريس[4].

ساهمت هذه الزاوية في نشأة الدولة السعدية، فقد كان للحركة الجهادية التي قادتها الزوايا، خلال هذا العصر، دور في بروز تعاون سياسي وعسكري بين هذه

1 عبد الله حاجي، المرجع السابق، ص ص 92-93.

2 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص63.

3 محمد المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة ، المحمدية 1960 ، ص173.

4 عبد الله الحاجي، المرجع السابق ، ص96.

الزاوية و السلاطين السعديين، كما أن الدولة الأسرة السعدية كانت بداية دولتهم من منطقة سوس ، و بالضبط منطقة تيدسي ، و جعلوا تارودانت عاصمة لهم .

4.1- زاوية تمصلحوت:

يرجع تأسيس تمصلحوت بمراكش، إلى حركة الطرق الصوفية التي ظهرت بالمغرب خلال عهد السعديين، فقد استطاع السعديون تحقيق انتصارات ضد البرتغاليين و القضاء على حكم الوطاسيين، و أن يكسبوا شيوخ التصوف إلى صفهم، و ذلك لما لهم من تأثير كبير على عامة الناس.

تأسست هذه الزاوية على يد عبد الله حسين الأمغاري[1]، في تمصلوحت، بعد أن طلب منه شيخه الغزواني، إعادة إعمار هذه القرية الخالية من الماء، و قد أصبحت في مدة قصيرة (1528-1538م) تمصلوحت مدينة عامرة.

لقد عرف عبد الله بن حسين بدرايته بأمور الفلاحة، إذ توافد العديد من القبائل على زاويته، من اجل الاستفادة من خبرته، حيث منحهم الأراضي مقابل الخمس أوالعشر، مما يوفر للزاوية موردا دائما يمكنها من ممارسة مهامها الدينية الروحية والتعليمية[2].

شكل موقف الغالب بالله من زاوية تمصلوحت حالة استثنائية، أقل حزما من سياسة أبيه، لانشغاله بالتهديد العثماني، فقد أمر شيخ الزاوية بإغلاق مقراتها في

1 عبد الله بن حسين الشيخ الولي ذو المناقب لا تحصى، من شرفاء بني أمنار/ كان من أصحاب الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، توفي في سنة 976هـ، محمد بن عسكر، المخطوط السابق، ص50.

2 محمد المازوني، زاوية تمصلوحت خلال القرن السادس عشر، مجلة كليلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد8، مطبعة إدويسعدن، مراكش 1992، ص129.

مراكش، وقد أرجع المؤرخون سبب هذا التضييق إلى المكانة التي صارت لزاوية تمصلوحت.

فقد رأى عبد الله الغالب بالله أن نفوذها قد تعاظم، مما يشكل خطرا على ملكه، و هو ما تفطن له السلطان أحمد المنصور الذي تقرب من شيوخ الزاوية، و منحهم الإقطاعات[1].

5.1- الزاوية العياشية:

زاوية آيت عياش أو زاوية سيدي حمزة، كما تسمى اليوم العياشي وسط جبال الأطلس، أسسها أوائل القرن الحادي عشر الهجري محمد بن أبي بكر العياشي[2]، (ت 1067هـ)، هو أستاذ صالح أخذ عن كثير من شيوخ العلم و التصوف، خاصة الشيخ أحمد أدفال الدرعي[3]، و أقام مدة من الزمن في زاوية الدلائيين يتتلمذ على الشيخين أبي بكر و ابنه محمد[4]، و هذا الأخير هو من أشار إليه ببناء الزاوية بآيت عياش، يطعم الطعام و يلقن أوراد الشاذلية، و يعقد حلقات الدروس[5].

1 محمد المازوني، المرجع السابق، ص131.

2 الإفراني، صفوة من انتشر، ص135. الحضيكي، المصدر السابق، ج2، ص65.

3 الشيخ الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن احمد أدفال الدرعي، له رحلة أو رحلتان لقي فيها أعلام المشايخ بالمدينة المشرفة و مكة و مصر، لقي في السوس الشيخين سيدي أحمد بن موسى الجزولي و سيدي سعيد بن عبد المنعم الداودي توفي عام 1023هـ، التمنارتي، المصدر السابق، ص98.

4 محمد بن أبي بكر الدلائي العالم العلامة، المتبحر في علوم التفسير و الحديث، أخذ عنه الشيخ محمد ميارة و أبو العباس المقري، و ابن عاشر و البوعناني و غيرهم، توفي سنة 1046هـ و دفن بالدلاء قرب روضة والده، الحضيكي، المصدر السابق، ج1، ص243.

5 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص508.

أمضى محمد بن أبي بكر العياشي قرابة ربع قرن في زاويته يعلم الطلبة القرآن الكريم و مبادئ الدين، يشرح لهم و لسائر المريدين مختلف الكتب، مثل مؤلفات أحمد زروق و أحزاب الإمام الحسن الشاذلي، و قد اشتغل بالتدريس أيضا أحمد محمد العياشي (ت 1073هـ) و عبد الكريم بن محمد العياشي (ت 1074هـ) ومحمد بن عبد الجبار العياشي[1]

6.1- زاوية سيدي علي:

تقع زاوية سيدي علي في وسط تمكروت[2]، غير بعيدة عن زاوية الناصرية، بانحراف صغير عن طريق المؤدية إلى تكمدارت و زكورة ، و هي الآن عبارة عن قصر صحراوية، بالقرب منه ضريح الشيخ علي بن محمد الجزولي.

كان لهذه الزاوية علاقة وطيدة مع السعديين، نظرا لقربهم لتكمدارت، واتصالاتهم مع السلطان القائم بأمر بالله، فقد كان لشيوخ هذه الزاوية دور سياسي في إقامة دولة الشرفاء السعديين، ضمن الحركة الصوفية السياسية التي ظهرت بمنطقة الجنوب[3].

أسس هذه الزاوية في أوائل القرن العاشر، علي بن محمد الجزولي البكري التمكروتي[4]، و هو أول من قدم من هذه الأسرة السوسية إلى تمكروت، ثم خلفه من

---

1 نفسه، ص510.

2 تمكروت منطقة واسعة تشتمل على عدة قصور على ضفاف نهر درعة. تمكروت

3 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص545.

4 ولد سنة 941هـ في بيت صلاح و علم، عاش في كنف والده و تعلم في زاويته هو و أخوه محمد، و أخذ عن مشايخ درعة ثم أخذ يدرس في الزاوية، توفي عام 1003هـ. علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكينة في السفارة التركية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 2002، ص ص 5-6.

بعده أبناؤه عبد الله بن علي التمكروتي (ت935هـ) و محمد بن علي التمكروتي (ت 965هـ) الذي كان من العلماء العاملين و أولياء الله المتقين، نفع الناس بعلمه، وصار له شأن كبير بينهم[1].

كما أن شيوخ الزاوية كانت لهم علاقة حسنة مع السلطة السعدية، فقد أرسل أفراد هذه الأسرة في عدة سفارات إلى الدولة العثمانية، مثل علي بن محمد علي التمروتي الذي بعثه أحمد المنصور سفيرا إلى السلطان العثماني مراد الثالث، و التي سجلها في كتابه النفحة المسكينة في السفارة التركية.

7.1- الزاوية الناصرية:

كان ابتداء أمر الزاوية بتمكروت الناصرية أن الشيخ أبا إسحاق الأنصاري المعروف بسيدي إبراهيم الحاج، كان قدم من المشرق و سكن في درعة، فأسس زاوية تعرف بسيد الناس (نسبة إلى رسول الله صل الله عليه و سلم) و اشتهر أمر سيدي إبراهيم الحاج، و قصد الناس، و لما توفي توارث أبناؤه الزاوية من بعده[2].

بعد وفاة مؤسس زاوية سيد الناس خلفه ابنه الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري التمكروتي، و الذي أسس الزاوية الناصرية بتمكروت، في منطقة تقع جنوب الأطلس الكبير، و هو موقع كان يمثل ملتقى القوافل التجارية المتجهة من تافيلالت إلى سوس، و بعد تولي محمد بن ناصر مشيخة الزاوية، صارت تسمى بالناصرية[3].

1 ابن عسكر، المخطوط السابق، ص48.

2 محمد عبد السلام الناصري، المزايا فيما أحدث من بأمر الزوايا بالزاوية الناصرية، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003، ص31.

3 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص549.

غلب على الزاوية الطابع الصوفي، فكان شيوخها يلقنون فيها الأوراد الشاذلية، و لا يشتغل معهم سوى قلة من العلماء الزائرين، إلى أن جاء الشيخ محمد الناصر[1] مؤسس الطريقة الناصرية و الذي قال عنه القادري في التقاط الدرر:"رأس في العلم و العمل و الولاية، ماهر في التفسير والحديث و التصوف، يستظهر تسهيل ابن مالك[2].

لقد ارتبطت الحياة الدينية بالحياة العلمية، خاصة في عهد أحمد بن ناصر الدرعي، الذي أنفق بسخاء على الطلبة و الأساتذة، و وفر لهم كل ما يحتاجونه، ليزدادوا إقبالا على العلم، و كانت الطريقة الناصرية جزولية زروقية شاذلية سنية[3].

من العلماء الذين درسوا بزاوية تمكروت نجد أحمد بن محمد بن مسعود التمكروكي (ت 976هـ) قرأ على علماء درعة، ثم قضي جل عمره في التدريس بالزاوية، و ألف كتابا سماه "تنبيه الغافل عما يظنه عالم و هو به جاهل"[4]، و كذلك عبد الله بن محمد بن مسعود التمكروتي صاحب الشروح المتعددة، منها شرح لاهية الأفعال لابن مالك، و شرح المقدمة الأجرومية، و شرح مختصر خليل، و يعرف

1 هو محمد بن محمد بن ناصر الدرعي، كان مشاركا في فنون من العلم كالفقه و اللغة و الكلام و التفسير و الحديث و التصوف، توفي عام 1085هـ. الإفراني ، صفوة من انتشر، ص299.

2 عبد الجواد السقاط، الزاوية المغربية في العصر السعدي القسم الثاني، مجلة دعوة الحق، العدد 30، مطبعة فضالة، المحمدية 1981، ص80.

3 محمد عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص34.

4 محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص549.

بالجامع، إلى جانب أهم تآليفه و هو الروض اليانع في أحكام التزويج و آداب المجامع[1].

2 – المكتبات :

كانت الحاجة ماسة إلى خزانة كتب عامة تستقطب عامة الناس، فقد قام المرينيون بتأسيس المكتبات العامة، و تحسين أحوالها، من أجل تشجيع الحركة التعليمية، و لهذا كان كل مسجد كبير يضم خزانة من الكتب، فظهرت هناك أنواع ثلاث من المكتبات، مكتبات المساجد و المدارس والزوايا[2] .

تميزت فترة السعديين بتنافس الأسر و الخواص في اقتناء الخزائن و جمع الكتب، و شمل هذا التنافس الأمراء و العائلات المعروفة بالعلم، و كان شغفهم بالكتب و جمعها من أجل وضعها تحت تصرف طلبة العلم، مثلما كان يفعل عدد من الأساتذة الذين يضعون خزائنهم تحت تصرف زملائهم و طلبتهم[3] .

كانت كل المدن الكبرى في المغرب تضم مساجد عامرة بخزانات الكتب، فقد كانت الخزانات العامة في مساجد سوس حوالي عشرين[4]،و قد كانت خزانة الكتب بالمساجد مثلها مثل باقي الخزانات العامة بالمغرب، تعتمد في تمويلها على الأوقاف، إذ أوصى سيدي أحمد بوعلي الوزاني بثلث خزانته الخاصة لفائدة خزانة

1 عبد الجواد السقاط، الزاوية السعدية، القسم الثاني، ص80.

2 أحمد شوقي بنبين ، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب ، ترجمة مصطفى طوبي ، المطبعة و الوراقة ، مراكش 2003 ، ص 115 .

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 379 .

4 محمد المختار السوسي ، خلال جزولة ، المطلعة المهدية ، تطوان (د ت)، ص 73 .

المسجد الكبير بوزان[1].كانت أعظم خزانات الكتب بالمغرب حتى العهد السعدي، هي خزانة القرويين، التي احتفظت بمؤلفات ترجع للقرون الماضية، و هي من إنشاء أبي عنان المريني، ثم قام أحمد المنصور السعدي ببناء خزانة جديدة بالقرويين، زودها بالكتب النادرة ، و التي لا توجد في أماكن أخرى ، و إذا كان قد وضع خزانة خاصة بالمصاحف ملحقة بالقرويين[2].

كان الهدف من إنشاء هذه الخزانة هو توفير المؤلفات للعدد الكبير من الطلبة، و لهذا يصح القول بأنها توسعت لخزانة أبي عنان ، و قد سميت بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة لأحمد المنصور ، لكن المقري يسميها الخزانة العليا[3] ، و لا تزال خزانة القرويين تحتفظ بالعشرات من الكتب ، التي حبسها السلطان المنصور السعدي[4] .

حفاظا على الكتب من الضياع أو الإتلاف ، لم يكن مسموحا للطلبة باستعارة الكتب خارج المكتبات ، و لذلك كانوا يستعيرون الكتب من أساتذتهم ، ثم ينسخونها في أيام قليلة[5] .

1 أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص 119 .

2 تقع خزانة أبي عنان بالجموب الشرقي للقرويين ، أما خزانة المنصور السعدي فتوجد بجانب خزانة المصاحف العنانية . عبد الهادي التازي ، عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000 ، ج1 ، ص 341 .

3 المقري ، روضة الآس ، ص 22 .

4 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 379 .

5 أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص 122 .

أغلب جوامع مراكش جهزها السلاطين السعديون و الخواص بالكتب، من أجل نشر الثقافة و العلوم ، و من أهم هذه الخزائن نجد خزانة جامع ابن يوسف، التي بناها عبد الله الغالب بالله السعدي بالقرب من المدرسة التي بناها، و التي كانت تضم مجموعات قيمة، معظمها من الأوقاف، وتشير فهرسة وضعت لهذه الخزانة، أنها كانت غنية بمخطوطات في شتى العلوم[1].

كما كانت هناك خزائن علمية ملحقة بالمساجد الرئيسية كجامع لالة عودة وجامع أبي العباس السبتي[2]، كما كانت في زاوية سيدي عبد الله بن سعيد بتافيلالت خزانة نهبت عدة كتب منها[3] .

من المؤكد أن خزانة الجامع الكبير بتارودانت ، تأسست في أيام السعديين، فيوجد بين كتبها جزءان من مشارق الأنوار للقاضي عياض ، مع الإشارة إلى تحبيسهما من قبل السلطان الغالب بالله، و في خزانة الجامع الكبير بمكناس مخطوط باسم منتخب الأحكام و بيان ما عمل به من سير الحكام، تأليف أخمد بن خلف بن وصول الترجيلي، و هو من تحبيس السلطان زيدان بن أحمد المنصور على جامع المحمدية، الاسم الذي صار لتارودانت بعد تجديدها من قبل محمد الشيخ[4] .

توارثت عدة عائلات خزائن ظلت تنمو مع مرور الزمن، و منها عائلة بن الغرديس الذي اشتهرت خزانته بفاس، و كان الفقيه أبو العباس أحمد الونشريسي، قد

1 نفسه ، ص 123 .

2 إبراهيم حركات ، المغرب من بداية المرينيين ، ص 453 .

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 381 .

4 محمد المنوني ، الخزائن العلمية بتارودانت ، ص 21 .

استفاد من مراجعها الكثيرة في تأليف كتاب المعيار[1]، ونالت سوس حظا وافرا من الكتب، و تنافست أسرها في هذا المجال، فهذه أسرة أزاريف التي في قرية على قمة جبل بآيت حامد، والتي أسست مدرسة في القرن الثامن الهجري، اشتهر علماؤها في العهد السعدي، و لهم حزائن محفوظة نزخر بالنوادر من المخطوطات[2] .

و أنشأ شيخ قرية أدوز عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1052 هـ) خزانة ظلت تنمو بعده صارت تعد بالآلاف اليوم ، كما أنشأ سيدي عمرو دفين فاس خزانة ، تم تزويدها بمؤلفات عديدة[3] .

أما أكبر مكتبة خاصة ، فهي مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت، التي أنشأت في القرن العاشر هجري، و قد زادت شهرة هذه المكتبة بعد أن تولى مشيختها محمد بن ناصر[4]، و تشكلت مصادر الخزانة من الاقتناء والوقف و النسخ و هبات السلاطين و عطايا الزوايا، فقد اقتنى محمد بن ناصر كتاب الحلية لابن نعيم مقابل ثمانمائة مثقال، و اشترى الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري مؤلفات لفائدة خزانة الزاوية[5].

عرف العهد السعدي في المغرب ، نشاطا مكثفا في مجال التأليف، وهو ما انعكس على انتشار المكتبات الملكية و الخاصة، على مستوى المساجد و المدارس، كما أن ظهور الزوايا تزايد أعدادها في هذا العصر، إثر كبير في ازدهار عملية

1 المقري ، روضة الآس ، ص 187 .

2 المختار السوسي ، سوس العالمة ، ص 132 .

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 381 .

4 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 382 .

5 أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص 139 .

النسخ التي اعتنى بها شيوخ الزوايا، و إنشاء مكتبات زاخرة بالمخطوطات ملحقة بالزوايا .

في هذا العهد ظهرت الكتابة والتوثيق المنظم في التاريخ المغربي، وانتظم تصنيف الكتب والمؤلفات، وتطورت صناعة الورق، مما ساعد على ظهور مجموعة جديدة من خزانات الملوك والأمراء ومن بينها:

الخزانات الملكية : وهي الخزانات التي كانت تحت نظر السلاطين المغاربة وخاصة المهتمين منهم بالعلوم المختلفة، وهي خزانة الأميرة مريم بنت السلطان محمد الشيخ السعدي[1].

وبرسمها كانت كتابة مصحف شريف، جاء في خاتمته توثيق إهدائه لخزانتها، بتاريخ فاتح شعبان عام 967هـ.

خزانة الأمير محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ السعدي:

وهي التي ورد ذكرها في خاتمة المصحف الكريم المكتوب باسمها بتاريخ أوائل رمضان عام 968هـ. كما كتب لنفس الخزانة (ديوان نزهة القلوب) على يد سعيد بن محمد التونسي، عام 965هـ[2].

خزانة السلطان عبد الله الغالب بن السلطان محمد الشيخ السعدي: و ينسب إليها مصحف شريف يحمل تاريخ 975هـ. وبعده (كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول) للعلامة لسان الدين ابن الخطيب، بتاريخ 978هـ. كما ينسب إليها أيضا

1 أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص140 .

2 الناصري ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 66

كتاب (التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة الشاردة)[1]، وهو مخطوط دار الكتب المصرية أهداه إليها مفتي الحرمين الشريفين قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد الحنفي.

خزانة السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي: و هي كبرى خزائن الشرفاء السعديين، بحيث بلغ عدد كتبها 32.000 كتاب، وقد وصف الافراني مؤسسها السلطان احمد المنصور السعدي بأنه كانت له عناية تامة باقتناء الكتب والتنافس في جمعها من كل جهة: فجمع من غرائب الدفاتر ما لم يكن لمن قبله، ولا يتهيأ لمن بعده مثله، وقال الفشتالي عن خزانته السلطانية : " اشتملت الخزانة الكريمة العلية الأمامية الشريفة اليوم، على عدد جم من تصانيف كانت تربط الدولة بالشرق والغرب، فترادفت عليها هدايا الكتب من المشرق الإسلامي، من ذلك " البحر الزخار والعيلم التيار" من تأليف الجنابي، و"شرح توضيح ابن هشام"، والذي قدمه مؤلفه أبو بكر الشنواني للخزانة المنصورية[2].

كما أن بعض أكابر المسيحيين الغربيين قدم للمنصور مصنفا طبيا مكتوبا بلغة أجنبية يترجح أنها اللاتينية. وكان السلطان السعدي يوفد البعثات للقاهرة والأستانة بقصد شراء الكتب واستنساخها، ويبذل فيها التعويضات السخية، وكانت هذه الخزانة مفتوحة في وجه الباحثين، فيذكر أن أحمد بابا التنبكتي استفاد منها كثيرا في تأليفه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وكذلك أحمد الحجري اعترف بأن المنصور كان يفيده بكتب خزانته. وورد أيضا أن أبا جمعة أعاره السلطان احمد المنصور 500 كتاب

1 نفسه ، ص 75

2 محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس ، وقف على طبعه هوداس ، مكتبة أمريكا و الشرق ، باريس 1981 ، ص 69

أخرجها من خزانته، حتى يفيد منها العلم المراكشي في تأليف شرح " درر السقط في مناقب السبط " لابن الآبار، وقد كان لثلاثة من أبناء المنصور خزائن أسسوها في عهد والدهم، وهو من الدلائل القوية على ضخامة الخزائن المغربية في عهد المنصور السعدي[1].

1 المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ص 123.

الفصل الخامس: العلماء في الدولتين.

المبحث الأول: الدولة المرينية.

1- العلوم الدينية.

2- العلوم الأدبية.

3- العلوم العقلية.

المبحث الثاني : الدولة السعدية.

1- العلوم الدينية.

2- العلوم الأدبية.

3-العلوم العقلية.

المبحث الأول: الدولة المرينية.

رغم المكانة السياسية و العسكرية التي كانت لدولة بني مرين إلا أنها لم تركز جهودها على هذا الجانب فحسب لضمان بقائها ، بل أدركت أنها لا بد أن ترتكز على أسس متينة وقوية تحقق أهدافها البعيدة ، الرامية إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها، وإنشاء دولة مترامية الأطراف[1].

ولذلك أولى سلاطين بني مرين الجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا، فقربوا العلماء من مجالسهم وأغدقوهم بالأموال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطتهم مطلق الحرية في التنقل لانتهال العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وتوافد طلاب العلم من كل صوب وحدب على فاس وغيرها من حواضر المغرب الأقصى للإجازة والتحصيل[2]، وكان اهتمام علماء بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية، إلا أنهم أولوا العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث عناية خاصة إلى جانب علوم اللغة والتاريخ والطب وغيرها .

1- العلوم الدينية:

- القاضي أبو الحسن الزرويلي المعروف بالصُّغير:

شيخ الشيوخ، و إمام الفقهاء، العلامة العلم، البحر، المفتي، المرجع، ولد حوالي 600هـ، كان أحد مفتيي المالكية في المغرب، مرجوعًا إليه في مسائل الّدين و الّدنيا، توفى حوالي سنة 719هـ[3]، و عمره نحو المائة والعشرين عامًا ، درّس

1 محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 330 .

2 محمد بن أحمد بن شقرون ، المرجع السابق ، ص 47 .

3 ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 342 .

بجامع القرويين بفاس ، فتخرّج بين يديه العديد من العلماء و الفقهاء الذين ذاع صيتهم ، فكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى، تَرِدُ عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك[1].

أقام عوده و عضده فانطلقت يده على أهل الحياة ، فأقام الحق على الكبير والصغير وجرى في تولّي القضاء بفاس، قدّمه أبو الرّبيع سلطان المغرب، أخذ عن صهره أبي الحسن بن سليمان و أبي عمران الحوراني ، و عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي ، وانتفع به و عن أبي سالم بن أبي يحيى[2].

اشتهر بالرّد على أهل البدع عمومًا و الصوفية خصوصًا. من تآليفه: "شرح الشاطبية "، و له رسالة عنوانها "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر"، و رسالة أخرى وجدت في إحدى الفهارس المجهولة الاسم، وكتاب " فهرس ما لم يُفهرس" من المخطوطات المغربية في الخزانات و له فتاوى جمعها عنه تلاميذه ، وكتاب "الدّر النثير على أجوبة أبي الحسن الصّغير"، كُتب عليه تأليف أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي السوسي التازي المعروف بابن أبي يحيى ، جَمعه أبو سالم إبراهيمبن عبد الرحمن بن أبي بكر، و وضع رُتَبهُ و نَسَّق أبوابه أبو سالم إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي قاضي سلجماسة ، فرغ من تأليفه يوم عيد الأضحى عام 900هـ[3].

1 الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 87 .

2 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 240 .

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص242 .

له كتاب شرح تهذيب المدّونة للبراذعي قال عنه الإمام العالم أبو عبد الله بن مرزوق: «هو شيخ الإسلام جمع بين العلم و العمل، و بِمقامه يُضرب المثَلُ في التفقه والتحصيل»[1].

و للإشارة فهناك إمام آخر اشتهر بهذا الإسم أي أبي الحسن الصغير المكناسي، لكن هذا الأخير كان متأخّرًا، و هو الذي ردّ على السّنوسي الصّوفي الأشعري في كتاب سمَّاه "نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصغير"، و جاء ذلك إثر تأليف المكناسي لكتاب اسمه:" الردّ على الفقراء " شنّع فيه على الصوفية وبيَّن ضلالهم[2].

- القبَّاب :

الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، أحد الحفاظ المشهورين بالدّين و الصلاح و التقدّم في العلوم، تولّى الفتيا بفاس، و له فتاوى مشهورة، و هو أوّل من نقل الونشريسي عنه في المعيار، أخذ عن الحافظ السطّي و أبي الحسن بن فرحون المدني والقاضي القشتالي و عن الإمام الشاطبي، و الصالح عمر الرّجراجي وغيرهم[3].

ذكره ابن الخطيب في الإحاطة فقال: هو من صدور عدول فاس فقيه نبيه جيّد النظر سديد الفهم، ولي قضاء جبل الفتح (جبل طارق)، متصفا بجزالة و دخل غرناطة عام اثنين و ستين و سبعمائة موجها من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن

1 ابن مرزوق الخطيب ، المصدر السابق ، ص 230 .

2 أبو الوليد أيوب الخريبكي ، أبو الحسن الصغير ، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، ص 10 .

3 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 100.

أبي الحسن، ثّم رفض العيش من الشهادة وتنسك على عادة الفضلاء[1] و قال عنه ابن قنفذ القسنطيني: « شيخنا الفقيه الحافظ، الصالح المفتي الحاج أبو العباس، حضرت مجلسه في الحديث و الفقه و أصول الّدين ، توفي سنة تسع و سبعين وسبعمائة، هكذا في رحلته، وزاد في وفاته شيخنا الفقيه المحقق، له شرح حسن على قواعد عياض، و شرح بيوع ابن جماعة، لازمت درسه بفاس في الحديث والفقه والأصلين »[2].

من آثاره : اختصار أحكام النظر لابن القطان أسقط فيه الّدلائل والإحتجاج وشرحه على القواعد في غاية الإتقان، و له مباحث مشهورة مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب أحسن فيها غاية الإحسان، و نقل عنه البرزلي في ديوانه، و وصفه بالعلم و الصلح.

وقع بينه و بين الإمام سعيد العقباني مناظرة بل مناظرات و مراجعات في مسائل جمعها العقباني في كتاب سّماه : «لباب اللّباب في مناظرة القباب»[3].

- محمد بن سليمان السّطي [4]:

الفقيه حافظ المغرب ، العلامة الفرضي الجليل، أخذ العلم عن إمام المالكية بالمغرب أبي الحسن الصُّغير و تفقه عليه، و كان أحفظ الناس للمذهب و أفقههم فيه ، أخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي، ختم عليه الحوفية ثماني ختمات ،

1 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 187.

2 ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت 1982، ص 372 . التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 100.

3 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 102.

4 السطي نسبه إلى سطة بطن من قبيلة أوربة .

وكان له في فهمه و إقرائه وحلّ عقده اليد الطولى، إختاره السلطان أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته إلى تونس[1]. من تآليفه : تعليق صغير على المدّونة و شرح جليل على الحوفية و تعليق على ِابن شاس فيما خالف فيه المذهب .

أخذ عنه ِابن عرفة و العقباني و ِابن خلدون، و المقّري، والعبدوسي الكبير، والخطيب ِابن مرزوق، و القباب. حظي بمكانة مرموقة عند أبي الحسن المريني، إذ كان يؤم به و مفتيه و خطيبه، نشأ مكبًّا على النظر والقراءة و التقييد حتى في مجلس السلطان.

حضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان و خلص معه إلى تونس وأقام معه بها نحوًا من سنتين ثّم توفي غريقًا في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم[2].

- محمد بن الصّباغ الخزرجي المكناسي :

يقول عنه ِابن خلدون : «كان مبرزًا في المنقول و المعقول عارفا بالحديث ورجاله ، إمامًا في معرفة كتاب الموطّأ و إقرائه، أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة، و لقي شيخنا أبا عبد الله الآبلي و لازمه و أخذ عنه العلوم العقلية فِلستنفذ بقية طلبه عليه فبرَّز آخرًا، و ِلختاره السلطان فِلستدعاه و لم يزل معه حتى هلك غريقا في ذلك الأسطول، يعني أسطول أبي الحسن آخر سنة خمسين وسبعمائة»[3].

1 التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ج2 ، ص ص 62- 63.

2 ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص 33.

3 ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص 46.

كان ِابن الصّباغ من كبار العلماء فقيها شهيرًا عالًما علاّمة ِاجتمع في رحلته إلى تونس التي ِاستصحبه فيها السلطان أبو الحسن بالإمامين ِابن عبد السلام و ِابن هارون و الإمامين أبي زيد و أبي موسى ِابني الإمام فأخذ معهم في العلم و أعطى. و ممّن مات معه في ذلك الأسطو ل الفقيه الحافظ السَطّي و الأستاذ الزواوي، له نظم في علاقات المجاز[1].

- موسى بن محمد بن معطي العبدوسي [2]:

و به عرف أبو عمران الفاسي مدّرسها و عالمها و مفتيها، قال عنه ِابن الخطيب القسنطيني: «شيخنا و مفيدنا طريقة الفقه الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس يحضره الفقهاء و المدّرسون و الصلحاء وحفاظ المدّونة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين»[3].

و يذكر ِابن الخطيب:« بأنّ الشيخ العبدوسي كان آية الله في المدّونة، و كان الشيوخ يقولون: فقهاء العصر على ثلاثة أقسام: من أعطى الحفظ فقط و من أعطى الفهم فقط و من ُجمعا له و هو سيدي العبدوسي، و قد قّيد عنه شيخنا الفقيه الحافظ عمر ِابن موسى تقييدًا كبيرًا في عشرة أسفار على المدّونة، و له تقييد آخر عليها وآخر على الرسالة»[4].

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 65.

2 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 300-301.

3 ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 369 .

4 ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي و أدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1965 ، ص 25 .

و يقول في موضع آخر : «كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدّونة و الرّسالة بفاس ثماني سنين».

و ممّن كان يحضر مجلسه من كبار الصالحين ِلبن عبّاد و أبو حفص الرجراجي وأبو عبد الله الهواري و غيرهم من الأئمة.

- أم هانئ بنت محمد العبدوسي [1]:

الفقيهة الصالحة أخت الإمام الحافظ عبد الله العبدوسي، قال عنها الشيخ زرّوق في كناشته : «كانت فقيهة صالحة ذات علم و صلاح ، طعنت في السنّ إلى قرب المائة ، توفيت سنة ستين و ثمانمائة ، و هي آخر فقهاء هذه الأسرة الشريفة».

- الشّماع أحمد بن محمد الهنتاني أبو العبّاس [2]:

أحد تلامذة ِلبن عرفة، أخذ عنه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، و ولي قضاء محلّة السلطان أبي فارس ، و وقع بينه و بين الحافظ البرزلي نزاع كبير في مسألة العقوبة بالمال هل هي جائزة باق حكمها أو منسوخة ؟ فوقع بينهما خلاف كبير و هجو، نقل عنه في المعيار.

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 316.

2 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج1، ص 112.

- أحمد بن سعيد العجيسي المكناسي الخطيب الشهير بالحبّاك [1]:

خطيب جامع القرويين بعد العبدوسي، كان فقيها متصوّفا شاعرًا فصيحًا، ظريفًا علاّمة، نظم مسائل ابن جماعة في البيوع، كان يدرّس بالمدرسة المتوكلّية المعروفة بأبي عنان ولد سنة أربع و ثمانمائة و توفي في حدود سبعين و ثمانمائة بفاس.

- محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القوّري [2]:

اللّخمي المكناسي ثّم الفاسي ، أندلسي الأصل الشهير بالقوري نسبة لبليدة قريبة من إشبيلية، الإمام العلاّمة المحقق له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية ، قال عنه تلميذه ابن غازي في فهرسته: " شيخنا الإمام الفقيه العالم العلم العلامة المفتي المشاور الحجة الحافظ المكثر أبو عبد الله ، كان آية في التبحّر في العلم والتصرّف فيه و استحضار نوازل الفقه وقضايا التواريخ ، مجلسه كثير الفوائد مليح الحكايات لازمته في المدّونة أعوامًا ينقل عليها كلام المتقّمين و المتأخّرين من الفقهاء والموثقين و يطّرز ذلك بذكر مواليدهم و وفياتهم و حكاياتهم و ضبط أسمائهم والبحث في الأحاديث المستدّل بها في نصر آرائهم ، فمجلسه نزهة السّامعين...سمعت عليه كثيرًا من الموطأ، و بعض سير ابنإسحاق بحثا و تفقهًا وبعض المدارك و الجوزي و وثائق الجزيري و مختصر خليل والمدّونة و الرّسالة والتفسير و المرادي "، ذكره السخاوي في الضوء اللاّمع : كان متقدّما في حفظ

1 أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ، ذرة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1 ، ج1 ، دار التراث ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، تونس 1970 ، ص ص 88-89 .

2 السخاوي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 280 . التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2، ص ص 233- 235.

المتون و فقهها، علّق شيئا على المختصر ولم ينتشر و ِلنتفع به الطلبة، أخذ عنه الفاضل أحمد زرّوق و قال : « إنّه مات آخر ذي القعدة عام ِثنين و سبعين»[1].

- محمد بن أحمد بن عبد الملك القشتالي الفاسي [2]:

قاضي الجماعة بها ، و سلفه من أهل الصلاح و الخير فيها، كان من أكابر الفقهاء المشاركين في العلوم، لكن غلب عليه الفروع و ِقتصر على حفظ المسائل وتقّدم في علم الوثائق و ِشتهر بها، تقلّد خطة القضاء بفاس و سلك سيرة قضاة العدل .

قال عنه ِبن الخطيب في الإحاطة :" ... له أبّوة صالحة و أصالة زاكية....صدر من الصدور في الوثيقة و الأدب ... مديد الباع في الأدب شاعر مجيد، كاتب بليغ ، علم من أعلام المشيخة، قدمه السلطان العالم أبو عنان لقضاء حضرته ِلختصّه و ِشتمل عليه فعرف حقه، و تردّد للأندلس سفيرًا فذاع فضله وعلم قدره" [3].

و يذكر ِبن الخطيب القسنطيني بأّن شيخه توفي سنة 779 هـ ، وكان قد أخذ عن القّباب[4].

1 السخاوي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 280 .

2 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 106.

3 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 187.

4 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 106- 107.

- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشريف الحسني السبتي ثم الغرناطي [1]:

القاضي أبو جعفر و أبو العباس الشيخ الفقيه العالم الأبرع ِابن الإمام العلامة أبي القاسم الشريف، شارح المقصورة ، أخذ عن شيخ الشيوخ أبي سعيد فرج بن لب و غيره، و أخذ عنه الإمام أبو يحيى بن عاصم شارح التحفة، و له أخ عالم فقيه يسمى محمّدًا ويُكنى أَبا المعالي، قال صاحب الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء و الزهاد: "لقيت هذين الشيخين و أجازاني، أولهما و أكبرهما ذكره الوزير ِابن الخطيب في شعراء الكتيبة الكامنة، و ذكر له قصيدة لزومية. نقل عنه صاحب المعيار".

- أبو عبد الله القشتالي :

هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ، أبو عبد الله القشتالي ، قاضي فاس ، المتوفي سنة 777هـ/1375م. من العلماء بفقه المالكية و الأدب وأحد الكتاب البلغاء في عصره، و هو الذي خاطبه لسان الّدين بن الخطيب بأبيات، أّولها : «من ذا يعدّ فضائل القشتالي»، ولاّه سلطان المغرب قضاء فاس سنة 756هـ ، و كان له تأليف يعرف "بواثق القشتالي" علّق عليه الونشريسي في كتاب سّماه : "غنية المعاصر"[2].

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 111.

2 ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 133.

- أحمد بن محمد بن علي التجيبي السبتي أبو العباس الشهير بِابن القراق:

قال عنه أبو عبد الله الحضرمي : «شيخنا الفقيه الحاج الكاتب الأديب الحافظ الصدر، كان أحد وجوه الأدباء القدماء، كثير النظم في النبويات و غيرها ، كتب عن أمراء الأندلس و المغرب ، و ِلستظهر بالقاهرة موطأ الإمام مالك حفظا من صدره عن ظهر قلب ، فاحتفل له شيوخ المالكية و ضربوا الطبول و الأبواق على رأسه إشادة وتنويها ، توفي أوائل رمضان بفاس عام 725هـ»[1].

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الأشقر الفاسي [2]:

فقيه من أهلها، كاتب بارع، أديب شاعر، مشارك في علوم، صدر من الصدور، قرأ على الأستاذ ِابن آجروم و على جماعة، كان ينشئ ويجيد و يشارك الفقيه الصدر أبي علي بن تادرارت كتابه الكتب الملوكية وأشباهها ، كان وقورًا ، دّين سليم الصدر، ذاكر بالتأريخ و أيام الناس، كتب هو و ولده عبد العزيز، و لم يزل معدودًا في جملة الكتّاب إلى أن توفي بفاس.

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 86.

2 ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 375.

2- العلوم الأدبية:

- عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي ثّم الفاسي[1]:

قال عنه أبو زكرياء السراج في فهرسته:« شيخنا الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الرّاوية المتفّنن الناظم الناثر الصدر الأوحد رئيس الكتاب أبو القاسم ِابن الفقيه الوزير الجليل الماجد الأصل الفاضل، كان متفّقا في معارف شتى عارف بعقد الشروط آخذًا بحظ وافر من الرواية، شاعرًا مجيدًا كاتبا بليغًا، حسن الخط... محّبا لأهل الّدين معظما لهم و لمن ينتسب للصوفية...».

أخذ عن والده و خ اله ِابن الحاكم ِابن القاضي أبي القاسم بن ربيع والفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي، و الإمام الولي أبي عبد الله الطنجالي، والقاضي أبو بكر بن منظور، و القاضي ِابن بكر سمع عليه مسند البزار، و غيرها من التآليف. ولد عام 718هـ و له تأليف حسن في السياسة السلطانية و توفي و لم يذكر تاريخ وفاته .

- عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي [2]:

الشيخ الصالح الإمام النحوي أبو زيد الفاسي، ألّف شرحًا مختصرًا على الألفية ِاعتنى به الطلبة كثيًرا، و آخر كبيرًا لم يتم أتلفه الحسدة إلاّ أوائله على ما قيل.

1 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج1، ص ص 26-237.

2 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 272.

نقل عنه ِابن غازي و غيره و له شرح الجرمية و نظم المعرب من الألفاظ والمقصورة في مدحه صلى الله عليه و سلم على سنن مقصورة ِابن دريد نحو ثلاثمائة بيت .

توفي سنة 807هـ ، و أخذ عنه ِابن مرزوق الحفيد ، و أثنى عليه بالعلم والصلاح والفضل [1].

- عبد العزيز بن عبد الواحد اللّمطي الفاسي[2]:

نزيل طيبة المشرفة الإمام العالم العلامة المتفّنن الفصيح الناظم الناثر، له عدّة منظومات في فنون وقف على كثير منها في الأصلين و الفرائض والتصّوف و البيان والمنطق و الجدل و غيرها.

قرأ بفاس على أبي العباس الزقاق ، و كان آية في التوسع في العلوم والتفنن فيها، بعث لأخيه شيخنا عثمان اللمطي منظومة له فيها نيف وعشرون فنًّا ، و نظمه حلو رشيق.

- يحيى بن أبي يعزى [3]:

قال عنه الشيخ زرّوق في كناشته: «كان قاضيا بالمدينة البيضاء بفاس، يدرس النحو عارفًا بعلوم الأدب و التنجيم و نحوها ، توفي آخر تسع و ثمانمائة».

1 التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ج1 ، ص ص 272- 273.
2 التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 304 .
2 نفسه ، ج2 ، ص 340 .

وقال عنه الونشريسي في وفياته: «سنة إحدى و تسعين توفي الفقيه القاضي بالدار البيضاء الكريم الشمائل أبو زكرياء بن أبي حامد حفيد ولي الله أبي يعزى»[1].

- عبد الواحد بن أحمد بن يحيى بن علي الونشريسي [2]:

قاضيها و مفتيها، قال عنه الشيخ المنجور في فهرسته: «شيخنا الفقيه المحقق المفتي الموثق النحوي الأديب الخطيب الفصيح الناظم الناثر أبو محمد ، ولد بفاس بعد الثمانين وثمانمائة ، أخذ عن أبيه أبي العباس، و الشيخ ِابن غازي والأستاذين الحبّاك والهبطي والفقيه أبي زكرياء السوسي ختم عليه الألفية أزيد من عشر مرّات، و ِابن هارون وغيرهم. كان رائق الخطّ فائق الإنشاء و الشعر، متقدّما في الوثائق و المكاتبات بأبدع كلام بلا تكلف...».

له نظم كثير في مسائل كشهادة السماع و مفتيات البيع الفاسد و ما يفتيه حوالة السُّوق و مواضع الإقالة في البيع و غيرها، جمعها أبو زيد الكلالي، و له نظم قواعد أبيه إيضاح المسالك نظما مستوفيا و زادها قواعد بأمثلتها و صورًا و ُمثلاً ِانتزعها من مختصر ِابن عرفة. توفي مقتولاً في ذي الحجة سنة 955هـ عن نحو سبعين سنة.

1 أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجي ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981 ، ص 397 .

2 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 322- 323.

- عمر بن عثمان الونشريسي المكناسي أبو حفص [1]:

قال عنه ابن الخطيب في نفاضة الجراب : «كان فقيها مدرّسا أستاذًا في فن العربية ، حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت عليه ، و طال سؤاله عنها و هي قول الشاعر:

و النَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلاً مَا لَمْ يَرَوا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ

توفي بفاس عام 816هـ .

3- العلوم العقلية:

- ابن البنّاء (654-721هـ/1256-1321م) :

عالم مراكشي متفّنن في علوم جمّة، برز بصفة خاصة في الرياضيات، والفلك والتنجيم و العلوم الخفية، و كذلك في الطّب .

هو أحمد بن محمّد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العبّاس بن البنّاء المراكشي كان أبوه البنّاء، ولد في مراكش عام 654هـ/1256م وقضى أغلب فترات حياته بها وهذا هو السبب في انتسابه لها و بها درس النحو و الحديث و الفقه، ثم ذهب إلى فاس ودرس الطب و الفلك والرياضيات، كان من أساتذته ابن مخلوف السجلماسي الفلكي و ابن حجلة الرياضي، حظي ابن البنّاء بتقدير ملوك الدولة المرينية في المغرب الذين استقدموه إلى فاس مرارًا، و توفى في مدينة مراكش عام 721هـ/1321م[2]

1 التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ج1، ص 339.

2 ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 343.

ألّف ِلبن البّناء أكثر من سبعين كتابًا في الحساب، و الهندسة والجبر، والفلك والتنجيم، ضاع أغلبها و لم يبقَ إلاّ القليل منها، وأشهرها:

* كتاب تلخيص أعمال الحساب
* مقالات في الحساب
* كتاب الجبر و المقابلة.

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ِلبن يوسف بن محمد بن عطية المديوني[1]:

ثّم الجاديري و به ِلشتهر، الفاسي الشيخ الفقيه العالم الموقت الإمام، ولد سنة ست أو سبع و سبعين و سبعمائة و ِلستوطن فاس، و كان بها عدلاّ مبرزًا، و لي التوقيت بجامع القرويين منها و كان متفّقا مقرئًا نحويًا.

قرأ بالسبع على ِلبن عمر، و على أبي عمر عثمان الزروالي، وأبي عبد الله الفخّار و أبي عبد الله القيسي و روى عن الترجالي و برهان الدين بن صديق و أبي الحسن ِلبن الإمام البخاري و غيرهم[2] .

له تآليف منها: روضة الأزهار في علم وقت الليل و النهار، واِقتطاف الأنوار ذكر فيه مسائلها نثًرا كالشرح لها، و مختصر الاقتطاف المذكور و كتاب جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب و بالصفيحة الشكارية و بربع الدائرة و العمل بالحساب والجدول في اثنين و أربعين بأًبا، وتنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، و شرح رجز أبي مقرع ، ومختصر شرح الخاقانية للداني، و رجز سماء النافع في أصل

1 التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 277-278.

1 التنبكتي ، المصدر السابق، ج1 ، ص 277 .

حرف نافع، وشرح رجز شيخه القيسي في الضبط ، و شرح الدرر اللّوامع ، و له أيضا المذكر والمؤنث و غيرها، توفي بعد أربعين و ثمانمائة و دفن في داخل باب الفتوح. من شيوخه أبو زيد المكودي روى عنه مقصورته و غيرها.

- عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي [1]:

إمام في الفرائض و الحساب ، كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء وشهرته بالصلاح أكثر من شهرته بالعلم ، لازمته و قرأت عليه الحوفية في الفرائض، و حضرت معه مجالس العلم كمجلس الحافظ الفقيه القباب في الحديث والفقه و الكلام، و مجلس الفقيه العالم الصالح مفتي فاس الوانغيلي الضرير وهو قارئ مجلسه و ِلتنفعت به كثيًرا، و إذا قصدته فيما عسر علّي فهمه أجلسني مع السارية وجلس هو بين يدي كأّنه السائل لتواضعه و إخفائه» تولّى الخطابة بجامع الأندلس بفاس. و توفي سنة 810هـ.

- موسى بن علي الأغصاوي أبو عمران بن العقدة :

الفقيه الفرضي الحسابي، ذكر بعضهم أنّه أّول من أدخل شامل بِهرام لفاس، توفي في السادس من رمضان سنة إحدى عشرة و سبعمائة، ذكره الونشريسي في وفياته ووصفه بالفقيه الفرضي[2].

1 المصدر نفسه ، ج1، ص ص 339- 341.

2 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2، ص 303.

- أبو العباس أحمد بن شعيب [1]:

أحد فضلاء وقته و نبلاء زمانه، فقيه مشارك تعاليمي، طبيب، أديب و نباتي و طبقة في قرض الشعر، و إمام في التعاليم ، له معرفة كبيرة بالأشجار و النبات، بارع الخط يحسن الكتابة و لذلك ِستخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة.

1 ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 375.

المبحث الثاني : الدولة السعدية.

بالرغم من السلبيات التي طبعت الحياة السياسية في الدولة السعدية على وجه عام، فإن نشاطهم الديني و تكونهم الثقافي، أفادهم في فرض شخصيتهم السياسية والمذهبية، فالسلطان محمد المهدي مثلا كان معروفا بمقدرته على إقناع الفقهاء والمستشارين لديه ، بوجهة نظره، و أحمد المنصور ساهم في الحركة الفكرية بالدولة، ليس بفضل منصبه كملك، وإنما نتيجة ثقافته الواسعة[1] .

كان للسياسة التي طبعت العلاقة بين السلاطين السعديين و العلماء، من خلال دعم الحركة العلمية، و إطلاعهم الواسع على مختلف العلوم، دور كبير في بروز العديد من العلماء في هذا العصر، و هو ما سنتطرق إليه في هذا المبحث .

1- العلوم الدينية:

- محمد بن قاسم القصار:

قدم جده من غرناطة عام 897 هـ و استقر بفاس، و بها ولد القصار، فقد تتلمذ على الشيخ محمد بن خروف التونسي(ت 966 هـ)، أما تلاميذه فهم بالمئات ، منهم عبد الرحمن بن محمد الفاسي، و عبد الواحد بن عاشر و الحسن الزياتي وآخرون، و هو محدث و فقيه، صار مفتيا وخطيبا بجامع القرويين بفاس بعد وفاة يحي السراج ، و ظل كذلك حتى توفى سنة 1012 هـ[2] .

1 إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، ص 451 .

2 المقري ، روضة الآس ، ص 316 . السملالي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 227 ,

- أحمد بابا التنبكتي :

أصله من قبيلة مسوفة، ولد بتمبكتو سنة 963 هـ من عائلة مثقفة، تعلم على يد والده و عمه أبو بكر البغيغ، و اعتمد في دراسته على كتب مغربية ومشرقية، و شملت دراسته كل الفنون المعروفة آنذاك، كاللغة والمنطق و العلوم الدينية و الفلك[1] .

خلال الحملة العسكرية السعدية على السودان، قبض على التنبكتي وأخذ إلى مراكش سنة 1002 هـ، و ظل هناك حتى سنة 1012 هـ، أين رجع إلى موطنه بالسودان بعد وفاة المنصور، خلال مكوثه بمراكش كان يدرس يجامع الشرفاء، رغم المعاملة السيئة التي لقيها من السلطان السعدي أحمد المنصور[2] .

درس أحمد بابا عدة علوم ، كالحديث و النحو و الفقه المالكي، ومن المؤلفات التي اعتمد عليها تسهيل ابن مالك و كتب الصحاح، و تحفة ابن عاصم و غيرها ، تلاميذه كثر منهم ابن القاضي و المقري و الراجي مفتي مراكش و قاضيها، و قد حصل المقري على إجازة منه[3] .

ترك التنبكتي عدة مصنفات منها :

- نيل الابتهاج بتطريج الديباج و هو عبارة عن كتاب التراجم
- تحفة الفضلا ببعض فضائل العلما ، و هو كتاب تراجم لا يزال مخطوط

1 المقري ، روضة الآس ، ص 303 . السملالي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 99 ، القادري، المخطوط السابق ، ج1 ، ص 66 .

2 التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 13 .

3 محمد حجي ، الحركة الفكرية ، ج 1 ، ص 104 .

- معراج الصعود إلى نيل مجلب السود [1]

- أبو العباس أحمد المقري :

ولد بتلمسان سنة 986 هـ من أسرة مشهورة منذ القدم بالعلم و الجاه، درس وتعلم في تلمسان، ثم هاجر إلى فاس و استقر بها سنة 1009 هـ حيث استقبله السلطان المنصور، و نال إجازة الشيخ أحمد بابا ، ظل يتنقل بين فاس و مراكش إلى أن هاجر سنة 1027 هـ إلى المشرق، أين تولى مهام التدريس في كل من المدينة و دمشق و مصر، حتى توفى سنة 1041 هـ، من تلاميذه محمد بن أبي بكر الدلائي و أحمد بن علي البوسعيدي و عبد القادر الفاسي و غيرهم[2] .

ألف المقري عدة كتب أهمها كتاب نفح الطيب الذي يعتبر موسوعة أدبية وتاريخية ، حول بلاد المغرب الإسلامي ، و له أيضا أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض و روضة الآس العاطرة الأنفاس و هو كتاب موسوعي لتراجم العلماء، و أخبار عن الدولة السعدية[3] .

- محمد بن عبد الرحمن بن يوسف المعرف بان الفقيرة :

تلميذ أبي عمرو المراكشي و الخروبي، هو نحوي مختص في القراءات العشر، هاجر إلى المشرق و قضى بقية حياته، له كتاب شمس القلوب لكل محبوب و أخبار الشيخ أحمد بن موسى و مناقب السيد أخمد بن موسى[4].

1 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 411 .

2 المقري ، روضة الآس ، ص 12 ، السملالي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 29 .

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 412 .

4 السملالي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 202 .محمد حجي ، الحركة الفكرية، ج1، ص 155 .

-أحمد بن علي الصنهاجي الزموري :

ولد بفاس سنة 930 هـ، هاجرت أسرته من أزمور بعد احتلالها من البرتغاليين، كان عالما في الفقه و التفسير و القراءات و النحو، من شيوخه ابن غازي و محمد بن إبراهيم الدكالي، حصل على أجازة من الشيخ نجم الدين الغيطي من مصر، توفى سنة 1001 هـ بفاس[1] .

-أبو العباس أحمد بن علي المنجور :

و صفه أحمد بابا التنبكتي بأنه آخر علماء المغرب، هو أستاذ السلطان أحمد المنصور، و ابن القاضي و أحمد بابا، له اضطلاع واسع في الفقه و الأصول والأدب والتاريخ و القراءات، له عدة مؤلفات منها : شرح على قواعد الزقاقية وشرح المنتخب في الفقه المالكي[2] .

2- العلوم الأدبية:

-أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم الفشتالي :

ولد سنة 952 هـ أو 956 هـ بفشتالة، و هي مكان بناحية فاس[3]، كان من المثقفين البارزين في بلاط المنصور السعدي، فقد كان رئيس الكتاب في البلاط السعدي، يخمل لقب وزير، يصفه المقري بأنه من أشهر شعراء الدولة[4]، كان أبو فارس فقيها و أديبا، تتلمذ على أحمد المنجور وعبد الواحد الشريف و غيرهم .

1 السملالي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 43 . القادري ، المخطوط السابق ، ج1 ، ص 9 .

2 ابن القاضي ، ذرة الحجال ، ج1 ، ص 156 . التنبكتي ، تيل الابتهاج ، ج1 ، ص 143 .

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 429 .

4 المقري ، روضة الأس ، ص 113 .

من تأليفه كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، و كتاب مدد الجيش وهو شبيه بجيش التوشيح لابن الخطيب، يضم موشحات مغربية من بينها أبيات لأحمد المنصور، توفي عام 1032 هـ[1] .

- عبد الرحمن العنابي :

هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله العنابي ، الفقيه الفاضل ، أحد رجالات الأدب في العهد السعدي، كانت له علاقة وثيقم مع الفقهاء والقضاة، إضافة إلى وظيفته كاتبا في البلاط السعدي في عهد المنصور[2]، وصفه ابن القاضي في المنتقى المقصور " صاحب الديوان الذي يوقع على موقعات مولانا التي تروح وتخرج إلى الأقطار البعيدة خوفا من التزوير ومحافظة على العلامة السلطانية وذلك في غاية الإتقان و الضبط "[3].

- محمد بن علي الهوزالي : المعروف بالنابغة ، و هو شاعر الدولة الرسمي، تولى قضاء تارودانت ، و كان لشهرته في الأدب أن قربه من البلاط السعدي ، و عرف عنه أنه كثير المدح للسلاطين ، فقد نظم قصيدة في مدح السلطان المنصور بعد شفائه من مرض طويل :

1 مصطفى بنعلة ، مجموعة ظهائر و رسائل سعدية ، ج 1 ،جمعية الحسن الوزان للمعرفة ، القنيطرة 2011 ، ص 42 . الإفراني ، نزهة الحادي ، ص 267 . ابن القاضي ، ذرة الحجال ، ج2 ، ص 325 .

2 المقري ، روضة الآس ، ص 176 ، الافراني ، نزهة الحادي ، ص 121 . مصطفى بنعلة ، المرجع السابق، ج1 ، ص 45 .

3 ابن القاضي ، المنتقى ، ج2 ، ص 604 .

تردى أذى من سقمك البر و البحر* و ضجت لشكوى جسمك الشمس و البدر

فلمـا أعاد الله صحتك التي * أفاق من غمها البدو و الحضر

تراءت لنا الدنيا بزينة حسنها * و عادت إلى الإيناع أغصانها الخضر

توفي الهوزالي سنة 1012 هـ [1]

3-العلوم العقلية :

-أبو القاسم محمد بن أحمد الغساني :

عائلة أندلسية مثقفة، و هو من أبرز أطباء الدولة السعدية، ولد سنة 955 هـ، تخصص في الطب على يد والده، و قد ترك مؤلفات في هذا المجال، مثل حديقة الأزهار، و هو شرح لطبيعة و مزايا الأعشاب الطبية وقد رتبه أبجديا، و له أيضا شرح منظومة ابن عزرون في الحمية، ألفه سنة 999 هـ بطلب من السلطان المأمون[2] .

شغل أبو القاسم منصب الطبيب الرسمي في عهد المنصور السعدي، كما شغل منصب وزير، هو من الأطباء القلائل الذين لم يشتغلوا بالفلسفة[3].

1 السملالي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 201 . الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 236 .

2 ابن القاضي ، ذرة الحجال ، ج2 ، ص 347 , Mustapha Akhmise , op cit , p 57

3 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 442 .

-عبد الغني بن مسعود بن الحسن الزموري:

تلميذ الغساني، وهو مؤلف القانون المفيد في علاج أمراض البول، وهو كتاب يضم سبعة أجزاء مقسمة على خمسة عشر فصلا، و اعتمد في تأليفه على كتابات الزهراوي و ابن زهر و الرازي[1] .

بلغ الاقبال على الرياضيات و الفلك ذروته في هذا العصر، فالتطور العمراني يتطلب معرف بعلم الفرائض و الهندسة و الحساب، و كان للفلك دور في معرفة أوقات الصلاة و الصوم و الأعياد، فقد برزت العديد من المؤلفات مثل منظومة المقنع في الفلك لابن سعيد المرغيتي، التي ظلت تدرس لعقود من الزمن[2] .

كان جل الرياضيين من السوسيين، لأن الدولة السعدية قامة في سوس وساهمت قبائل تلك المنطقة في بناء هذه الدولة الجديدة، و من أشهر علماء الحساب محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي (ت981هـ)[3] و ابنه أحمد بن القاضي الذي ألف في الهندسة و الحساب، ومحمد بن سعيد الطنجي (ت 992 هـ)[4] ، و من الفلكيين نجد أبو زيد عبد الرحمن البوعقيلي الجزولي (ت 1006 هـ)[5] الذي صنع مزولة[6] شمسية للجامع الكبير بتارودانت و أخرى بجامع القصبة بمراكش[7] .

---

1 Mustapha Akhmise , op cit , p 58

2 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 444 .

3 ابن القاضي ذرة الحجال ، ج 1 ، ص 698 .

4 نفسه ، ص 659 .

5 محمد المختار السوسي ، سوس العالمة ، ص 51 .

6 آلة اخترعها المسلمون لمعرفة الوقت عن طريق الشمس

7 إبراهيم حركات ، السياسة و المجتمع ، ص 445 .

خاتمة

بلغت الدولة السعدية ذروة قوتها في عهد المنصور الذهبي (986-1012)، وبموته أخذت الدولة في التراجع، و ظلت على ذلك من الفوضى و الاضطرابات حتى نهاية سنة 1069هـ 1658م، وذلك على جميع المستويات.

شهد المغرب الأقصى نهضة عمرانية في العصر السعدي، بعد فترة من الجمود في العهد الوطاسي، نتيجة الأوضاع السياسية المتدهورة، فقد اهتم السعديون ببناء المدن و المساجد و المدارس و التي صاحبت عملية الجهاد ضد المحتلين البرتغال.

عرفت العمارة الدينية اهتماما كبيرا في العصرين المريني و السعدي نظرا لارتباط سكان بلاد المغرب بالدين الإسلامي، و لقدسية هذه الأماكن و حرمتها، إضافة إلى دورها في مجال التعليم على غرار المساجد والمدارس و الزوايا.

ظهرت المدارس في بلاد المغرب منذ العصر الموحدي، لكنها عرفت أوج انتشارها و تطورها في العصر المريني، حيث انتشرت المدارس في كل حواضر المغرب الأقصى، بعد نهاية الفترة المرينية لم تعرف الدولة الوطاسية اهتماما ببناء المدارس و اقتصروا على تلك التي شيدت في عهد سابقيهم.

لم يكثر السعديون من بناء المدارس، و ذلك لكثرة المدارس المرينية والتي ظلت قائمة خاصة في المدن الكبرى فاس و سلا، و مراكش، إضافة إلى ظهور الزوايا في حواضر ثانوية من قبل يبعض العلماء و المتصوفة، و التي كانت غير خاضعة للسلطة المركزية من ناحية التسيير.

احتوت المدارس المرينية و السعدية على منشآت ملحقة بها، كمساكن الطلاب و قاعة الصلاة و الدرس، و في العصر السعدي برزت مدارس صغيرة بالقرب من

بعض المساجد الجامعة على غرار المسجد الجامع بتارودانت، و التي اشتملت فقط على مساكن الطلبة.

لم يقتصر دور الزوايا على التصوف و الزهد فقط، بل كانت لها أغراض مختلفة، مع بداية العصر المر يني قام السلاطين ببناء الزوايا خارج المدن و على الطريق من أجل إيواء عابري السبيل، لكن في العهد السعدي أخذت تعني بأنشطة دينية و تعليمية و جهادية.

تعد قاعة الدرس من أهم مكونات المدرسة السعدية، و التي كانت لها وظيفة التعليم و الصلاة، و قد خصصت لعقد الدروس و ليصلي بها الطلاب و الشيوخ وباقي العاملين بالمدرسة. شرع السعديون في بناء المنشآت المعمارية المختلفة وتخطيط المدن، فأقاموا العديد من المساجد والمدارس و الكتاتيب من أجل نشر العلم، و ظهر ذلك في بداية الدولة بالجنوب (سوس) حيث كانت العاصمة تيدسي ثم تارودانت، و بعد ذلك انتقلت العاصمة إلى مراكش التي صارت عاصمة للدولة منذ 952هـ.

اشتهر الملوك المرينيون و السعديون باهتمامهم بالعلم و الأدب، فأبو الحسن المر يني كان أديبا و شاعرا، كما أن محمد الشيخ السعدي كان يحفظ ديوان المتنبي، أما محمد المأمون فقد كانت ذو ثقافة أدبية واسعة وعلى معرفة بالطب أيضا.

تميز السلاطين السعديون، بحبهم للعلماء، و يتجلى ذلك في حضور مجالسهم العلمية، كما عرف عن المنصور الذهبي جمع الكتب وتحبيسها، فمكتبة القرويين لازالت تزخر بعديد المخطوطات التي قام بجمعها وتحبيسها، إضافة إلى خزانة

السلطان التي استولى عليها الإسبان، كما لا ننسى المكتبات التي ألحقت بالمساجد و المدارس.

انتشرت الزوايا في العصر السعدي بشكل كبير، و لم يقتصر دورها على الجانب الديني، بل كانت تقوم بمهمة التعليم و الجهاد ضد النصارى الإسبان والبرتغال، و هو الدور الذي اضطلعت به الزاوية العياشية والدلائية خاصة في بداية الدولة السعدية.

حرص المرينيون على تثمين الوحدة الإسلامية مع بلاد المشرق، حيث زاد التواصل بين القطرين عن طريق الرحلات (العلمية و الحج) فانعكس ذلك على تبادل المعارف و العلوم، و انتقال طلبة العلم بين المغرب والمشرق، كان للاستقرار السياسي في دولة المرينيين إلى هجرة العديد من الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأقصى و كان من بينهم العلماء و الفقهاء الذين ساهموا في إثراء الحياة الفكرية في الدولة المرينية، إضافة إلى علماء قدموا من بلاد المشرق و حواضر المغرب الإسلامي.

ساهمت الحواضر المغربية في نشر الثقافة و العلوم، على غرار مدينة فاس عاصمة المرينيين، و مراكش عاصمة السعديين، إضافة إلى مدن أخرى مثل تازا والرباط و تارودانت و غيرها، خاصة في الفترة السعدية أين برزت حواضر ثانوية عرفت كذلك بنهضة فكرية راقية.

كان للدولة المرينية النصيب الأكبر من المدارس و المساجد، نظرا للعناية التي لقيتها هذه المراكز من قبل السلاطين المرينيين لكن معظم هذه المؤسسات أنشأت

في الحواضر الكبرى خاصة العاصمة فاس، بينما في العهد السعدي نجد انتشارا واسعا للمساجد و المدارس في كل مدن المغرب الأقصى حتى الثانوية منها.

كثر أتباع الزوايا في الدولة السعدية، حتى صارت في أواخر الدولة السعدية نتيجة ضعف الدولة، عبارة عن إمارات مستقلة، تمتع شيوخها بالسلطة الدينية والعسكرية على غرار الزاوية العياشية و الدلائية.

ازدهرت الحركة الفكرية في عصر السلطان أبو العباس أحمد المنصور، والذي عرف عهده بالاستقرار السياسي و الرخاء الاقتصادي، حتى صار يلقب بالذهبي نسبة لتجارة الذهب مع السودان الغربي، و تجلى ذلك في كثرة المراكز العلمية وغناها بطلبة العلم و المؤلفات في شتى العلوم.

برزت في العصرين المر يني و السعدي ظاهرة الكراسي العلمية في مجال التدريس، و هي عبارة عن أماكن مخصصة لعلماء يدرسون فيها علوم معينة، كمثل كرسي ابن غازي في عصر بني مرين بجامع القرويين، و كرسي أبو العباس أحمد المنجور في الدولة السعدية في جامع القرويين.

ساهم الوقف بشكل واسع فيس دعم الحركة التعليمية في المغرب الأقصى، زمن المرينيين و السعديين فكانت المساجد و المدارس و الزوايا تحبس لها العديد من الممتلكات من مساكن و دكاكين و أراضي، و التي من خلالها يتم دفع أجور المدرسين، و المساهمة في عملية الترميم أو التوسعة .

شهدت مراكش عاصمة السعديين نشاطا علميا واسعا حيث زاد عدد المساجد الجامعة، فأضحت تنافس فاس عاصمة بني مرين التي حافظت على مكانتها السابقة، إذ نجد مثلا جامع الأشراف بمراكش مركزا علميا بامتياز، فكان يأتيه طلبة

العلم من كل مكان للقاء الشيوخ، و كان أحمد بابا التنبكتي يدرس الحديث بهذا الجامع، فصارت مراكش بفضل ذلك العاصمة العلمية و السياسية للدولة.

عمل السلاطين المرينيون و السعديون على تشجيع حركة التأليف، وتحبيس الكتب و المدونات في خزائن ملحقة بالمؤسسات العلمية، مثل خزانة جامع القرويين و كذلك خزانة جامع الأشراف بمراكش، كما تمتعت الزوايا في العصر السعدي بظاهرة جمع الكتب، و التي لا تزال تحفظ عدة مخطوطات.

اهتم السلاطين المرينيون و السعديون بتشجيع العلماء، فقد احتوت مجالسهم السلطانية على الكثير من العلماء الذين تم دعوتهم من كل الأقطار، لعقد مجالس علمية يحضرها السلاطين، كما كان للسلطان أحمد المنصور الذهبي خزانة خاصة ضمت عديد المؤلفات في شتى المجالات.

تميزت عمارة المساجد و المدارس في العصر المر يني، بتأثرها الشديد بالعمارة الأندلسية، و خاصة و أن الأندلسيين شاركوا في بناء هذه المنشآت، لكن في العهد السعدي لم تشيد مدارس كثيرة ، ربما لتشبع فاس و مراكش بالمدارس المرينية في حين أضحت الزوايا لها مكانة هامة في الحركة التعليمية إضافة للمؤسسات التي كانت موجودة.

الملاحق

الملحق رقم: 01

مدرسة العطارين:

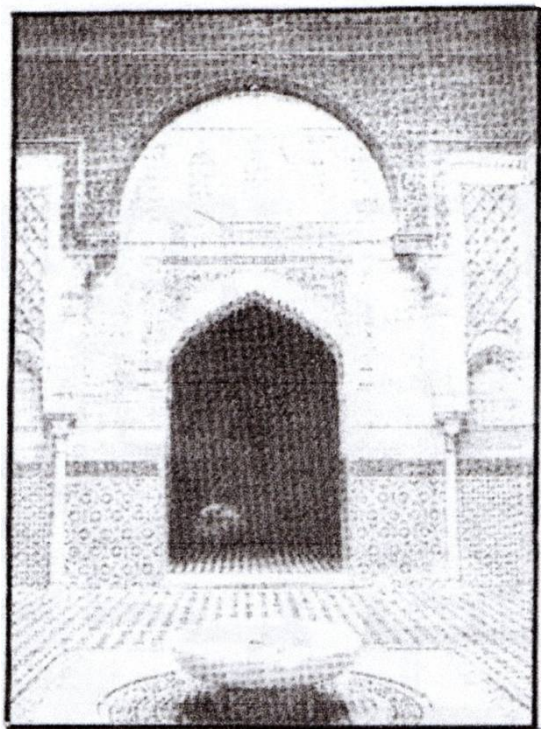

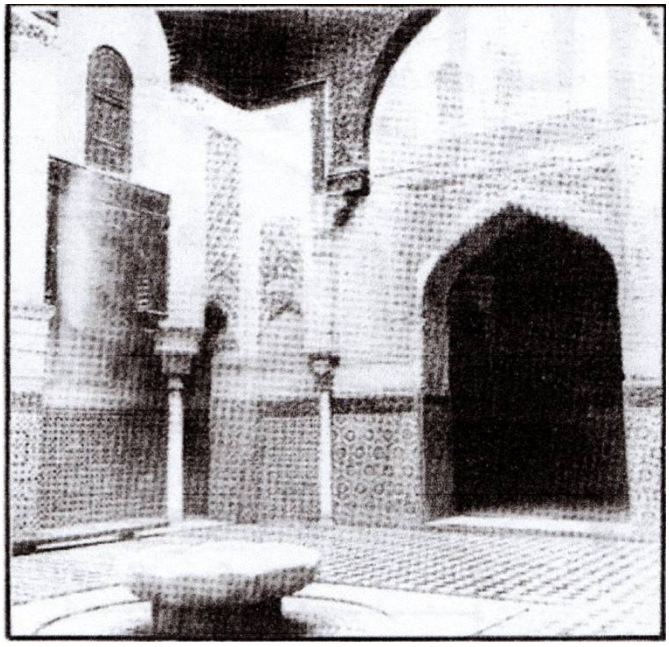

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق،ص 197.

الملحق رقم: 02

زخارف بمدرسة العطارين.

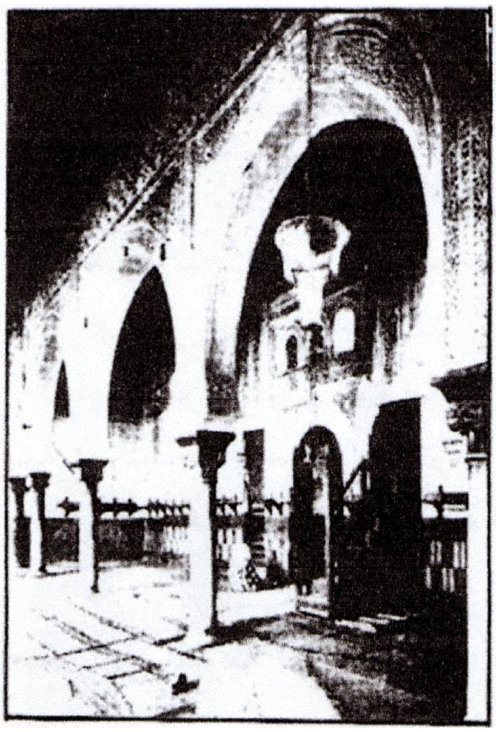

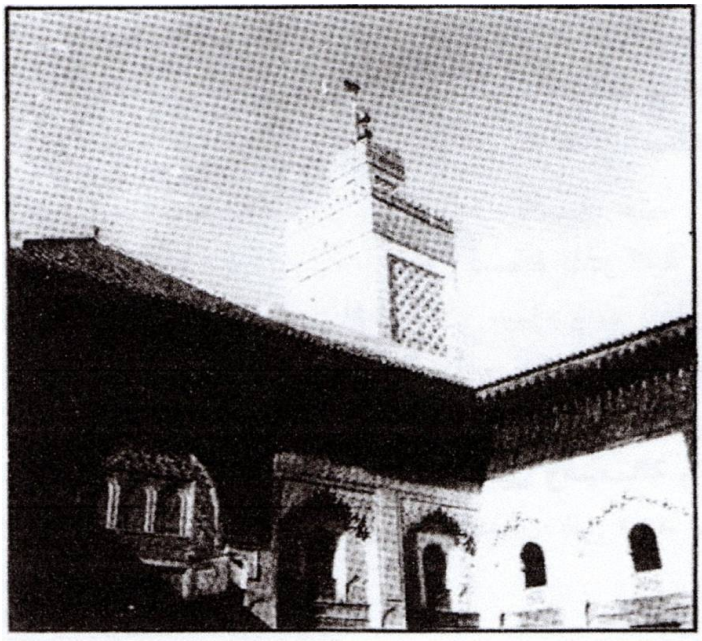

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق،ص 220.

الملحق رقم: 03

مدرسة العطارين بفاس

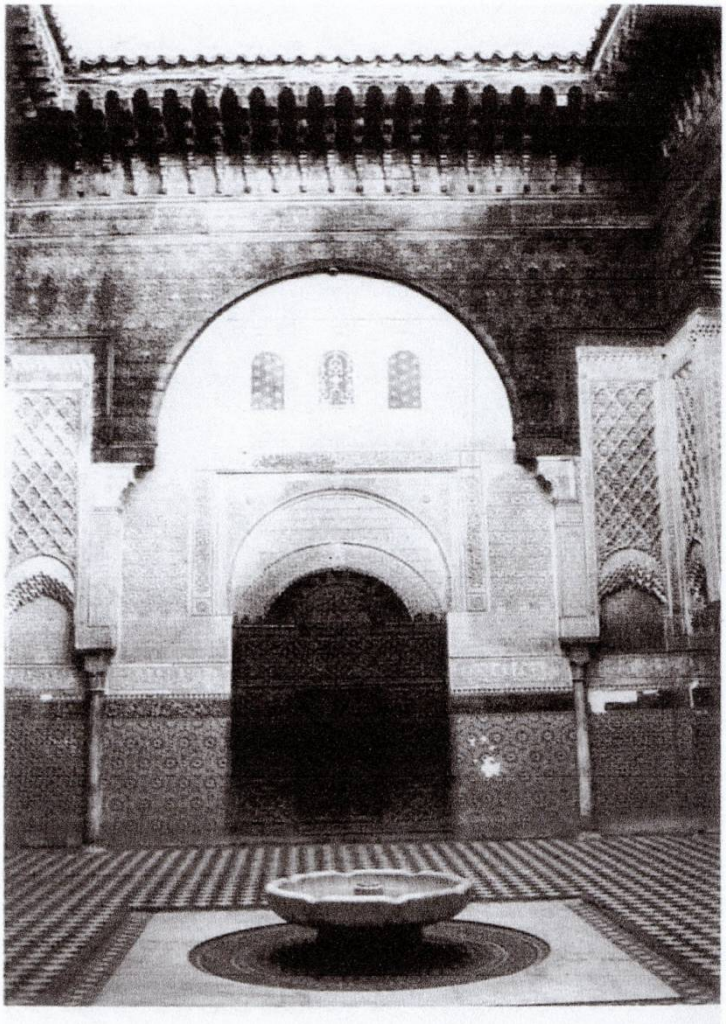

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق،ص 241.

الملحق رقم:04

مدرسة البوعنانية بفاس

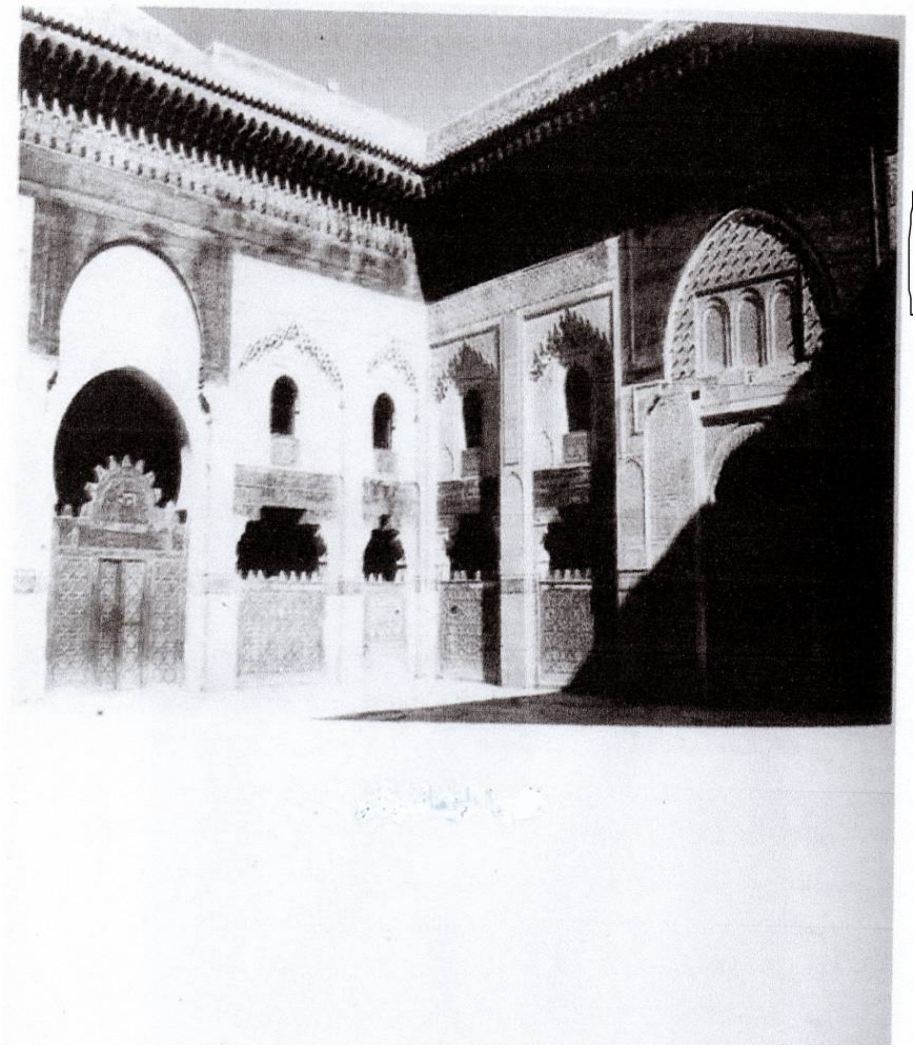

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 249

الملحق رقم: 05

مدرسة الصفارين بفلس

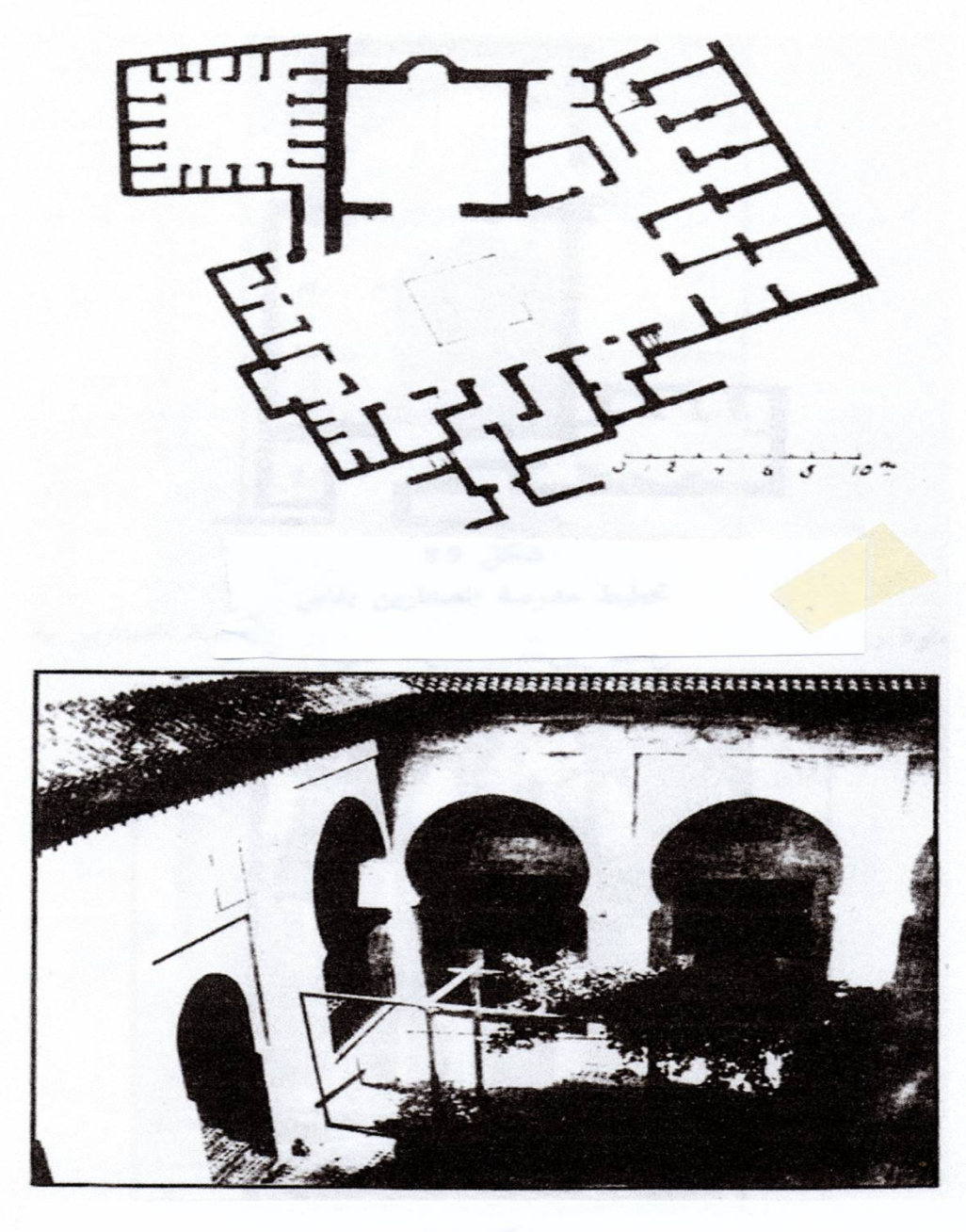

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 195.

الملحق رقم: 06.

الجامع الكبير بالرباط

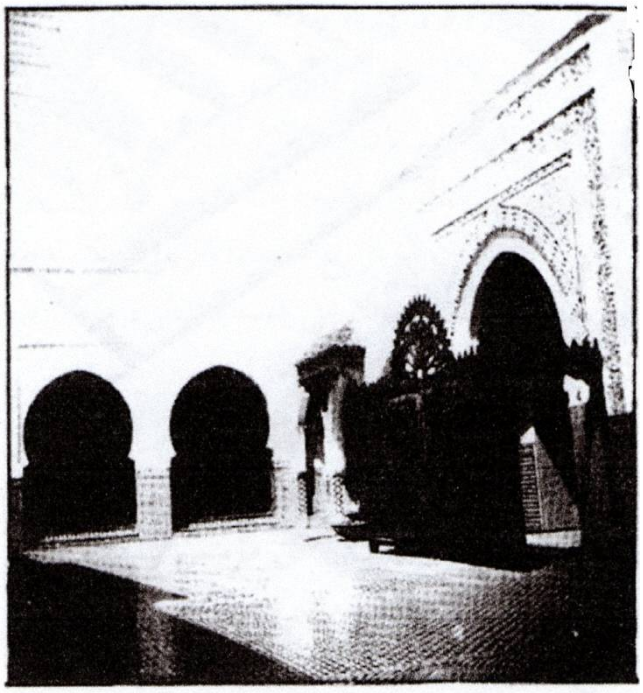

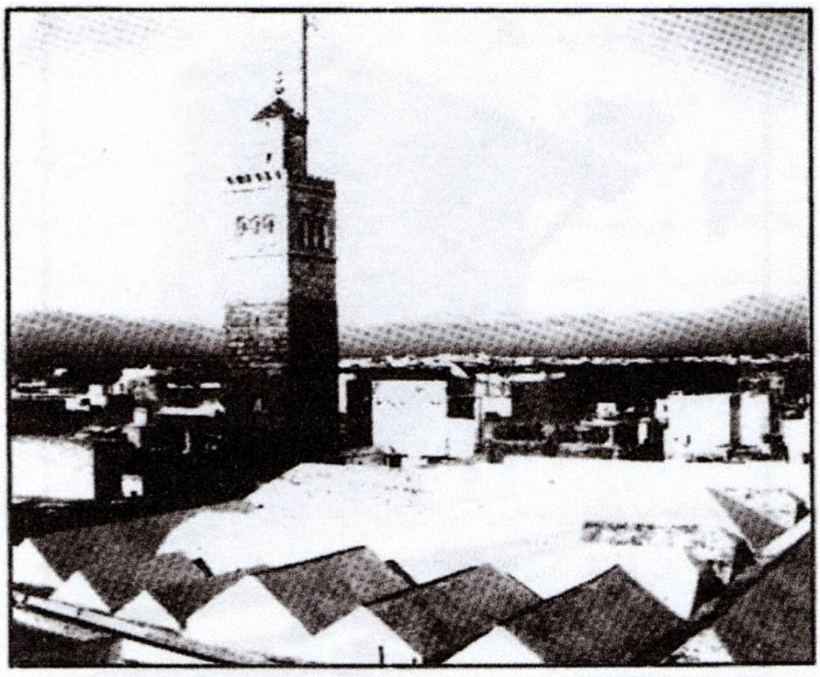

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 167.

الملحق رقم: 07.

الجامع الكبير برباط الفتح.

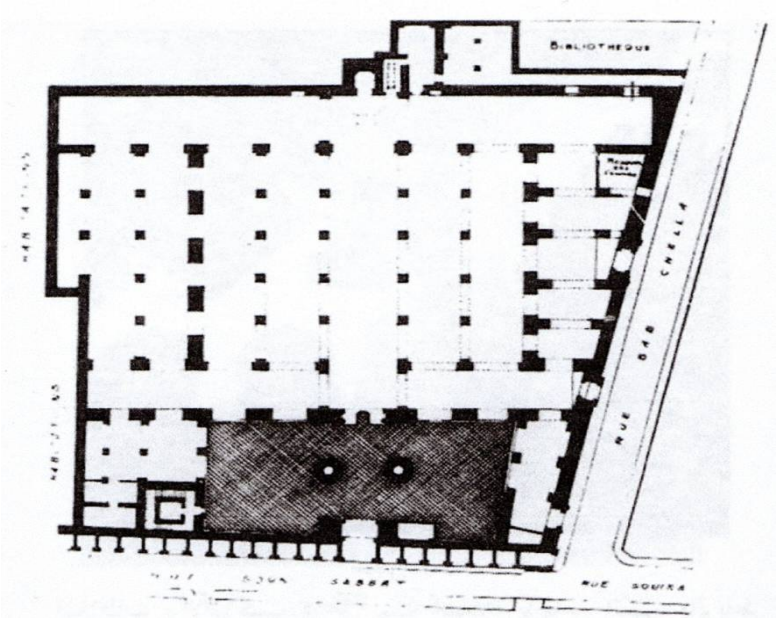

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 165.

الملحق رقم: 08.

صحن مسجد سيدي صالح بمراكش

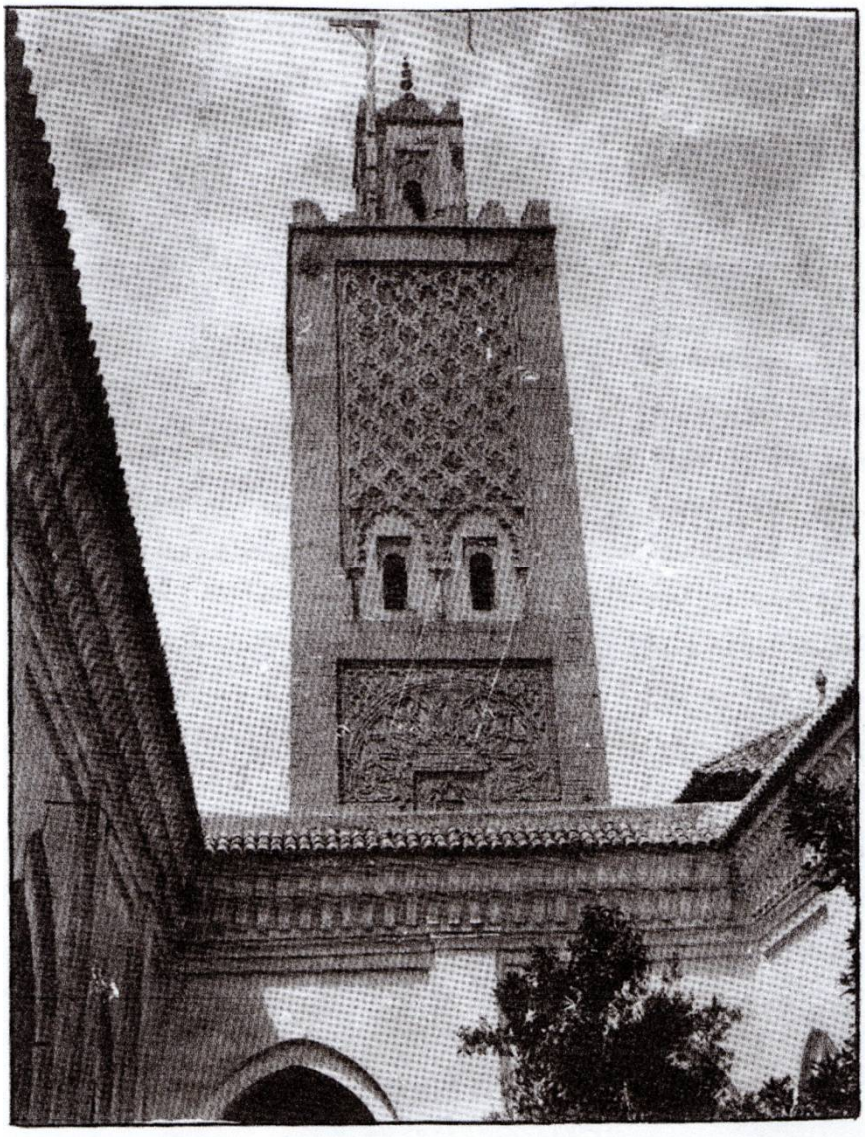

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 152.

الملحق رقم: 09.

مسجد سيدي بن صالح بمراكش

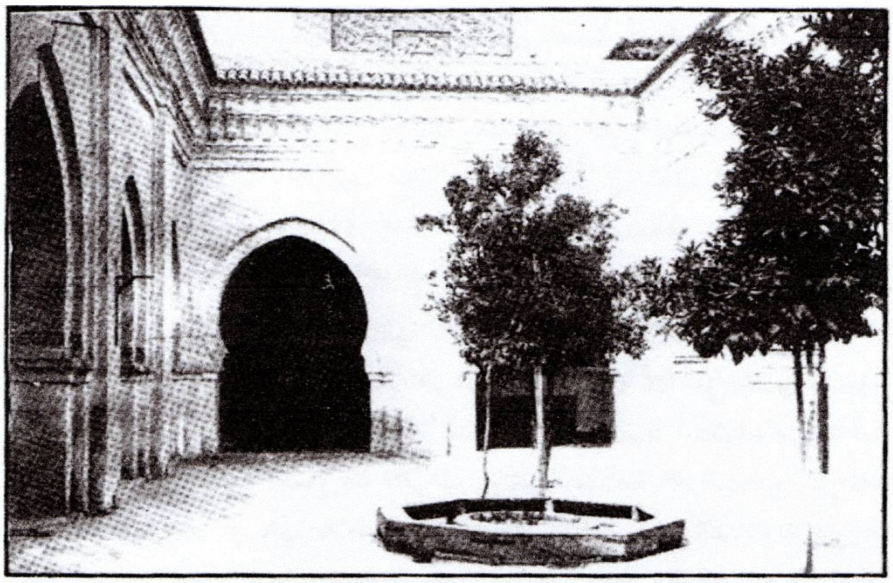

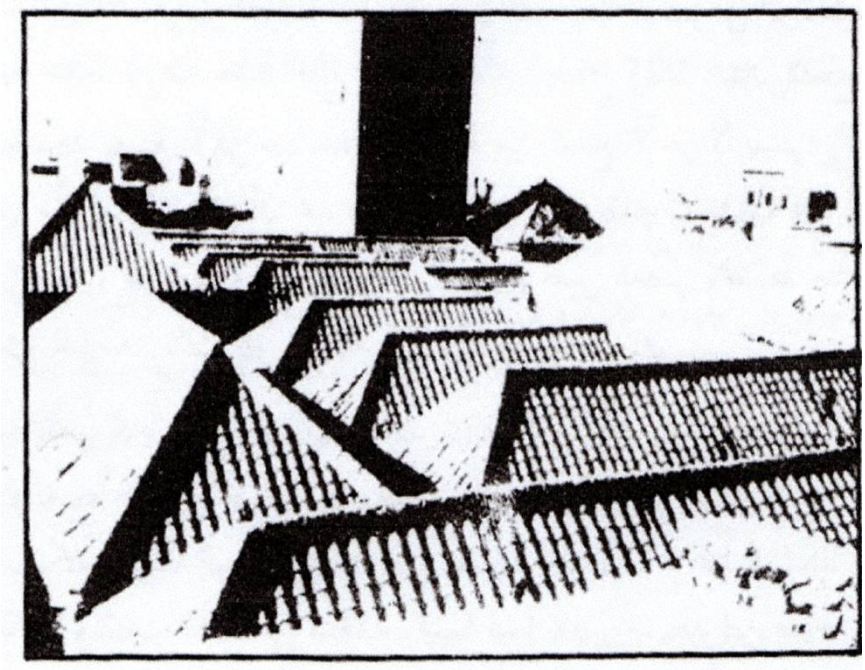

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 150.

الملحق رقم: 10.

شجرة نسب بنو مرين

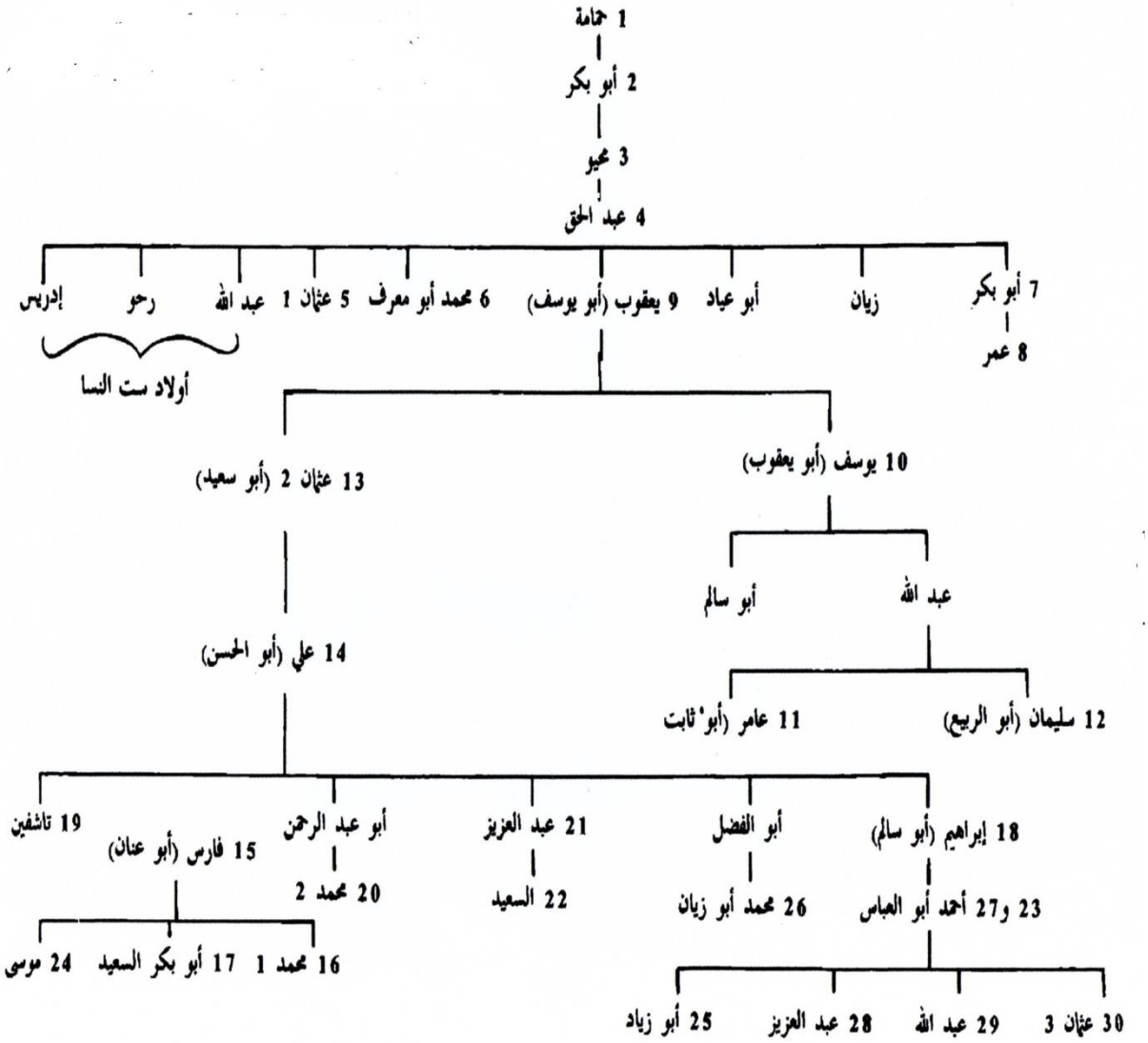

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 46.

الملحق رقم: 11.

جامع الشرابليين بفاس

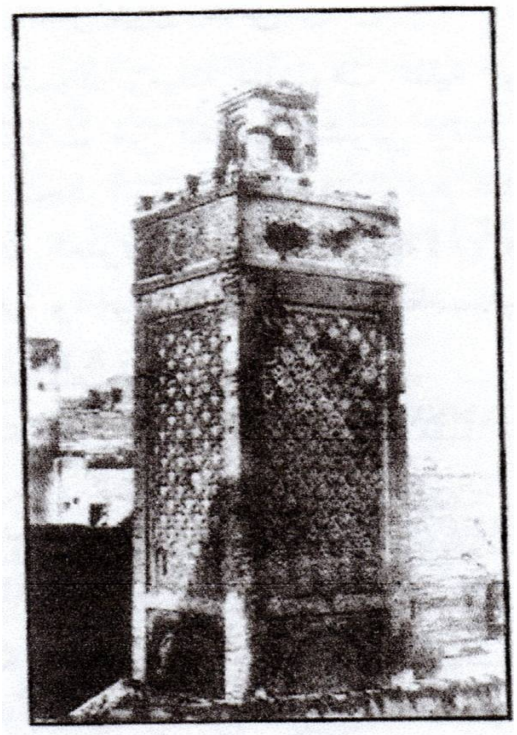

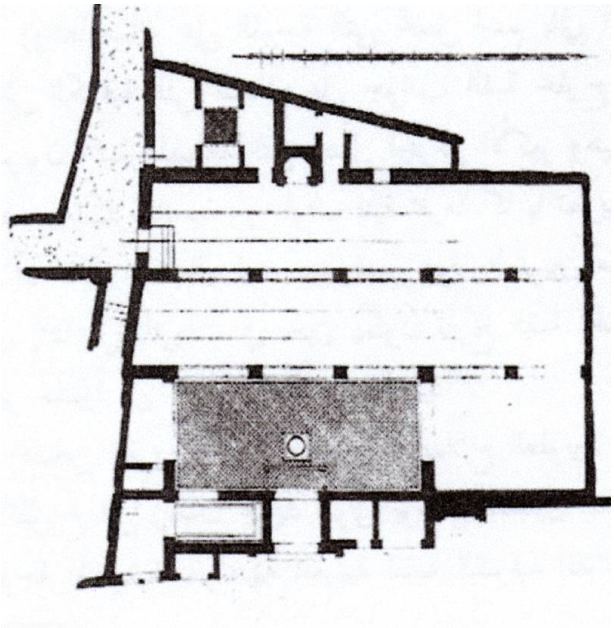

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 217.

الملحق رقم: 12.

المصحف الذي حبسه المنصور السعدي

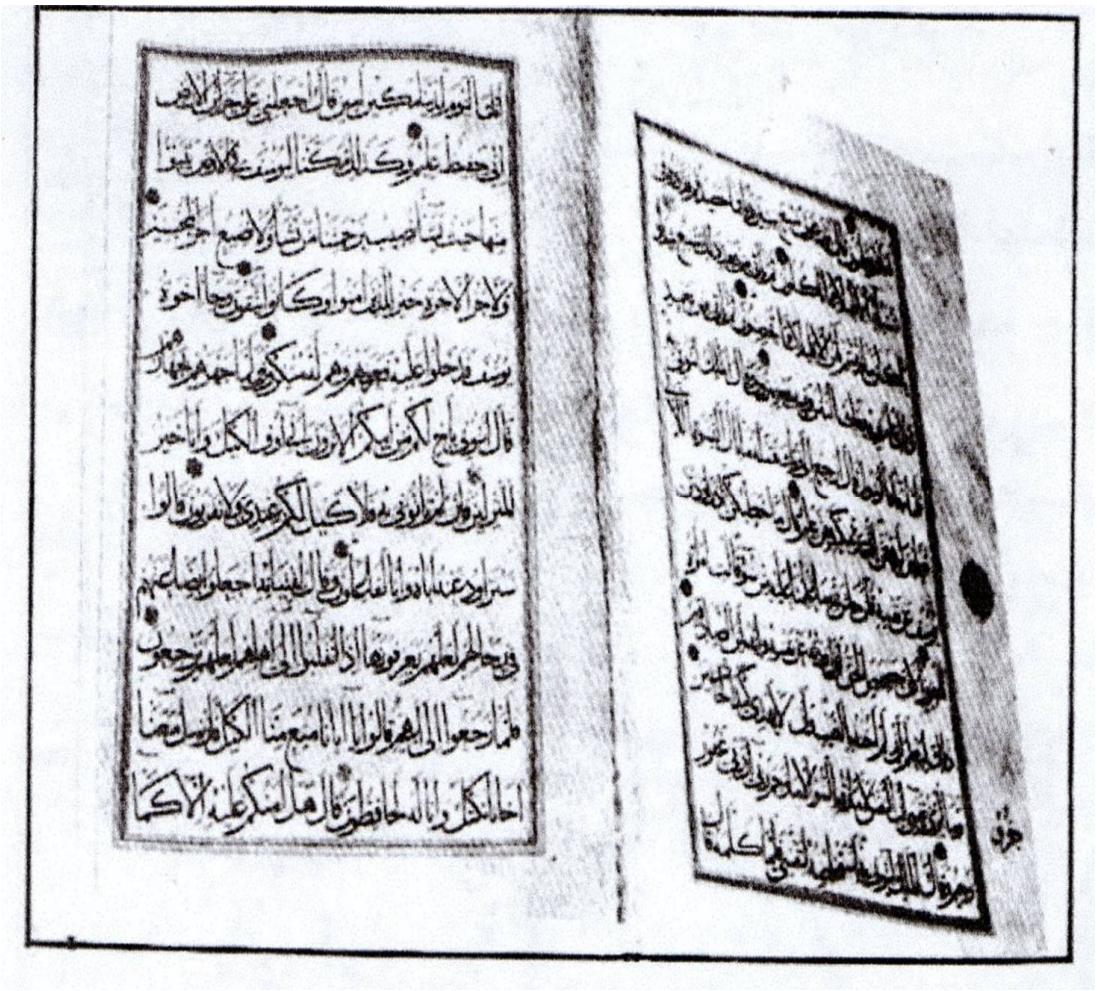

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 159.

الملحق رقم: 13

مدرسة بنو يوسف بمراكش

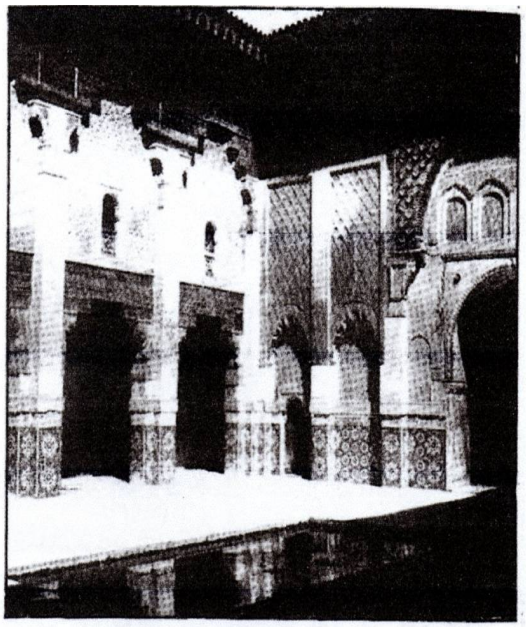

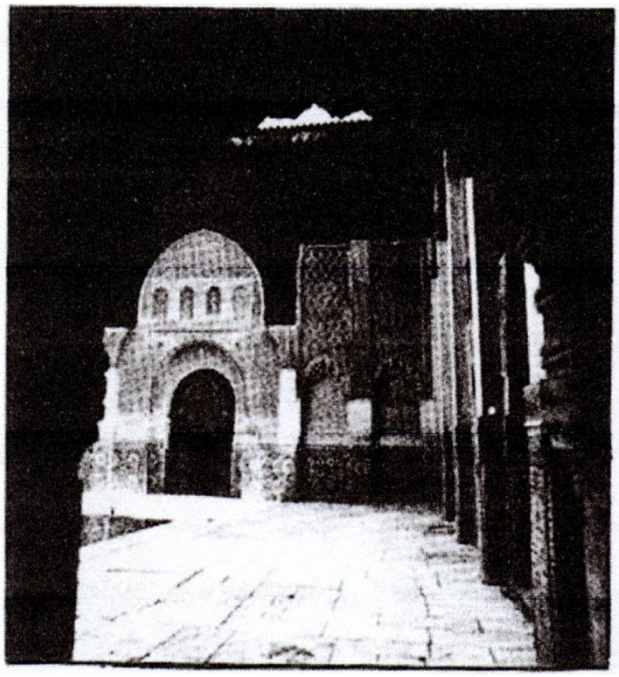

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 101.

الملحق رقم: 14

زخرفة سقف الجامع الكبير بتارودانت

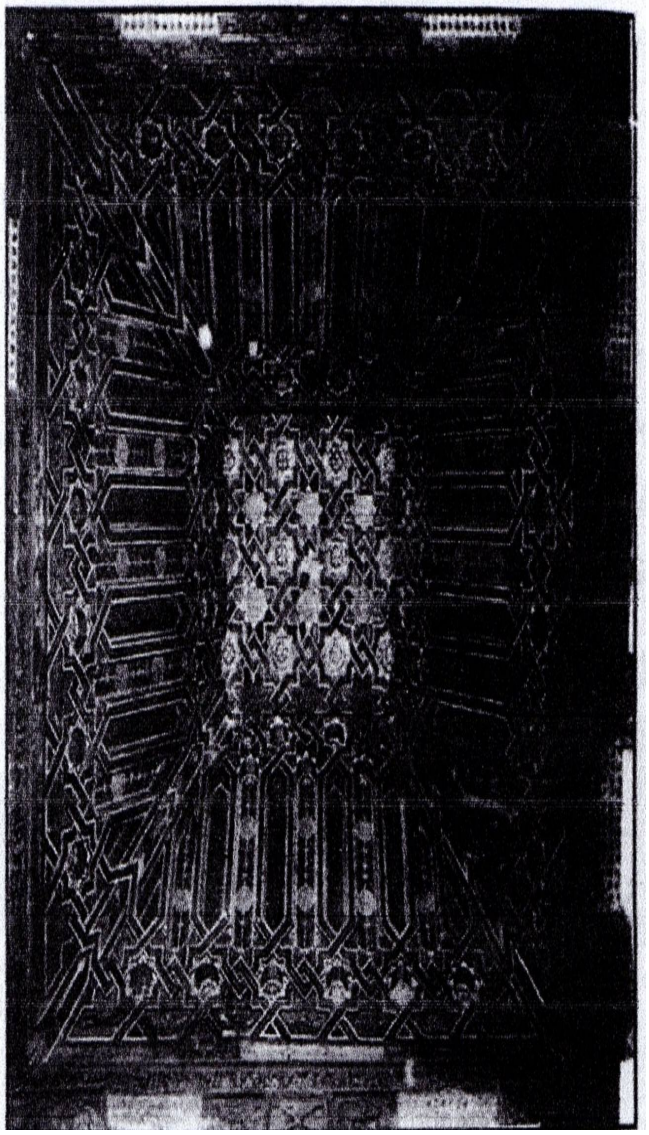

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 91.

الملحق رقم: 15

قبة الخصة السعدية بجامع القرويين

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 77.

الملحق رقم: 16

زاوية سيدي سليمان الجازولي بمراكش

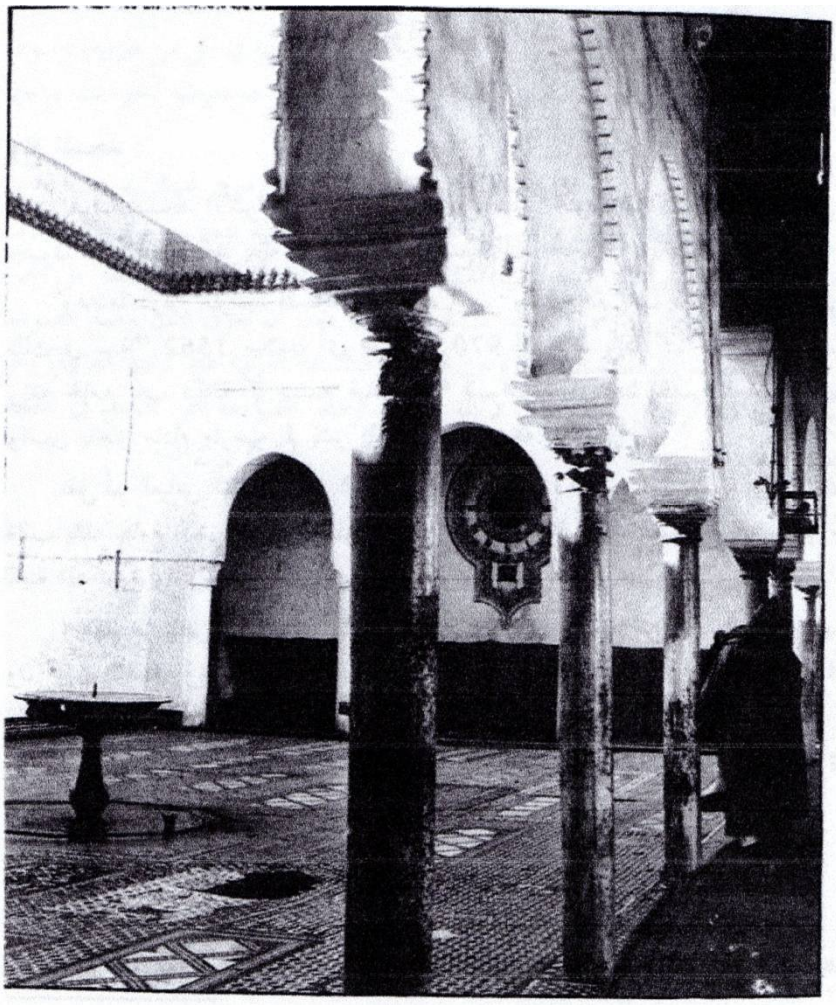

عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 67.

الملحق رقم: 17

زخارف مدرسة بن يوسف بمراكش

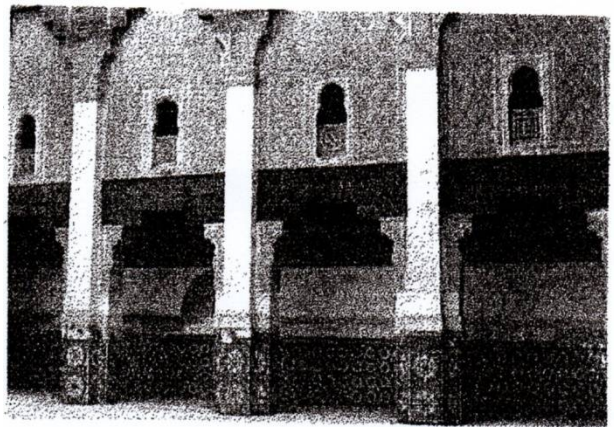

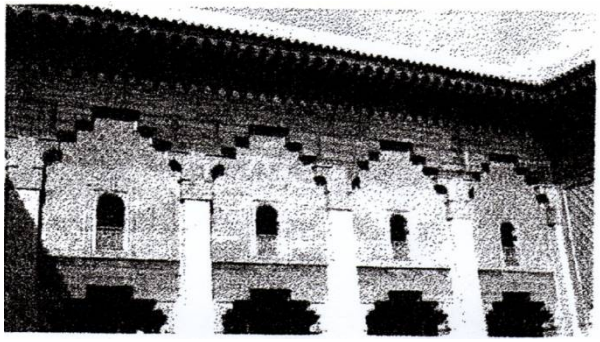

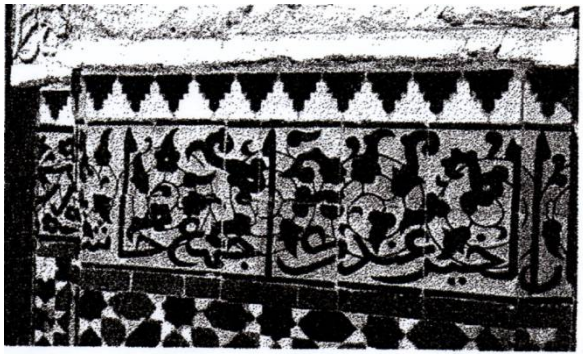

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 694.

الملحق رقم: 18

زخرفة مدرسة بن يوسف بمراكش

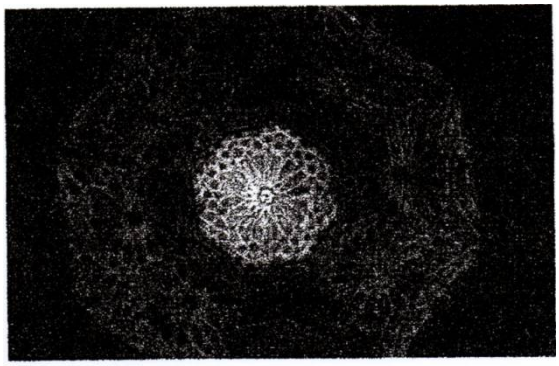

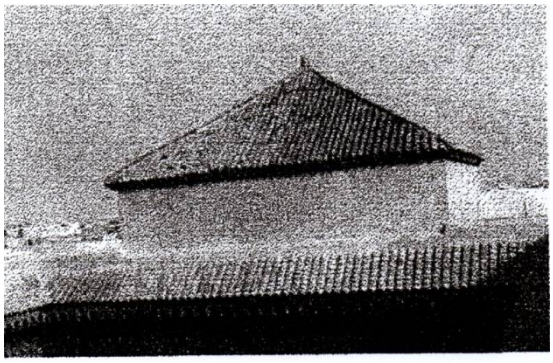

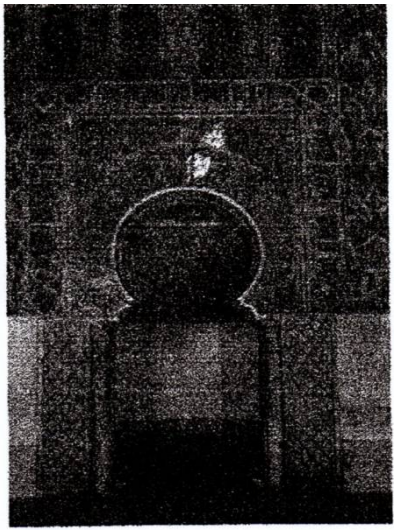

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 695.

الملحق رقم: 19

جامع أبي العباس السبتي

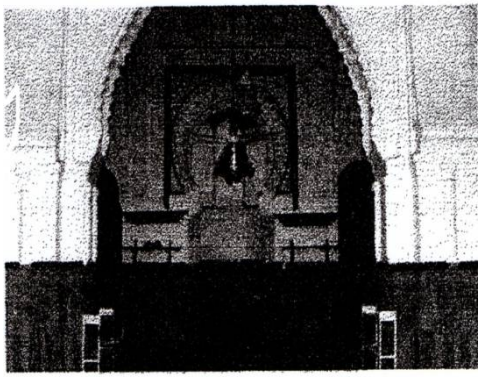

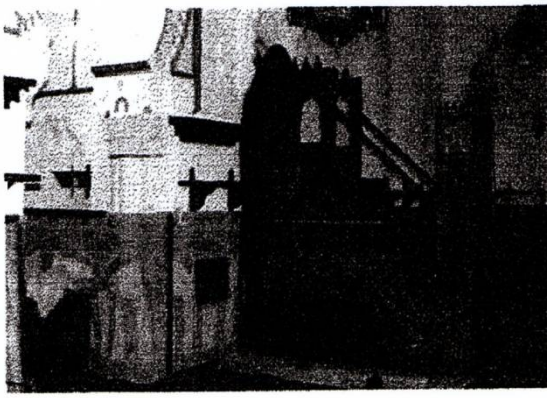

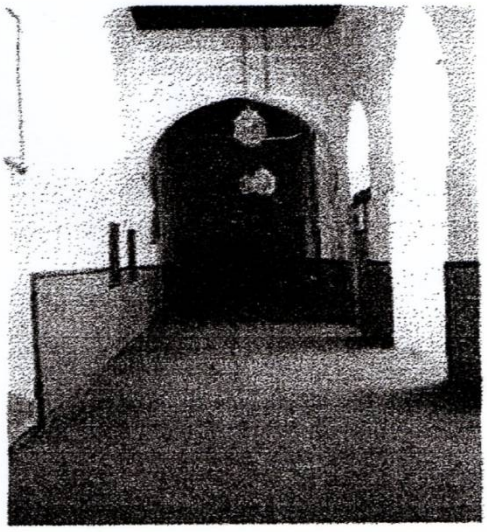

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 689.

الملحق رقم: 20

جامع المواسين بمراكش

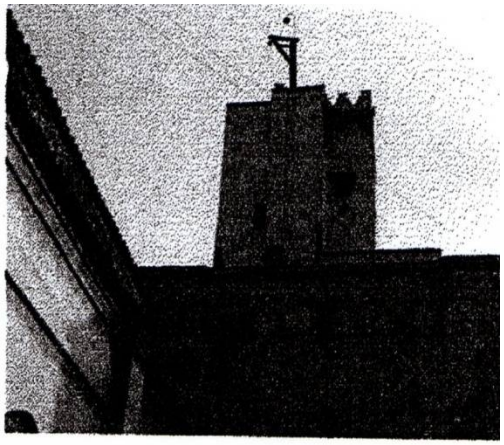

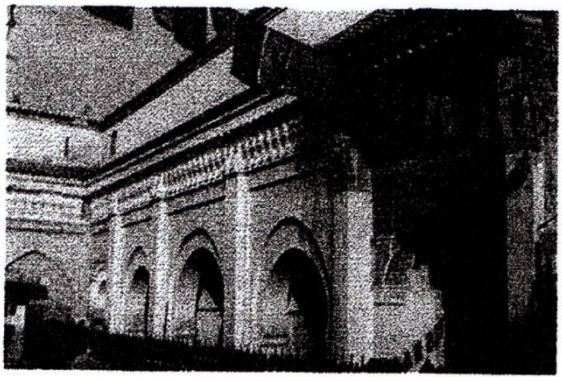

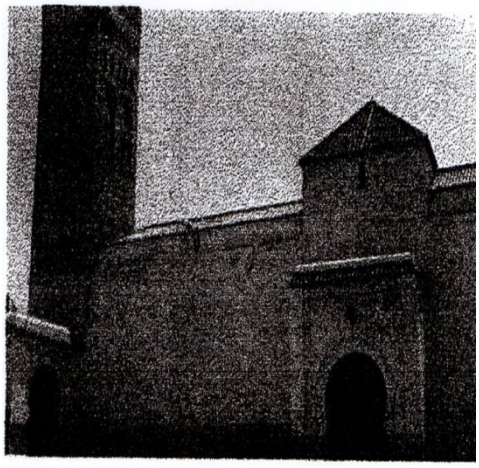

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 686.

الملحق رقم: 21

سقف جامع المواسين

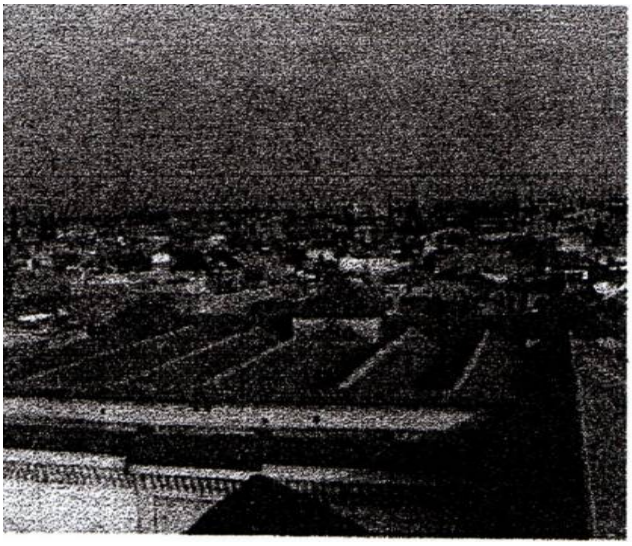

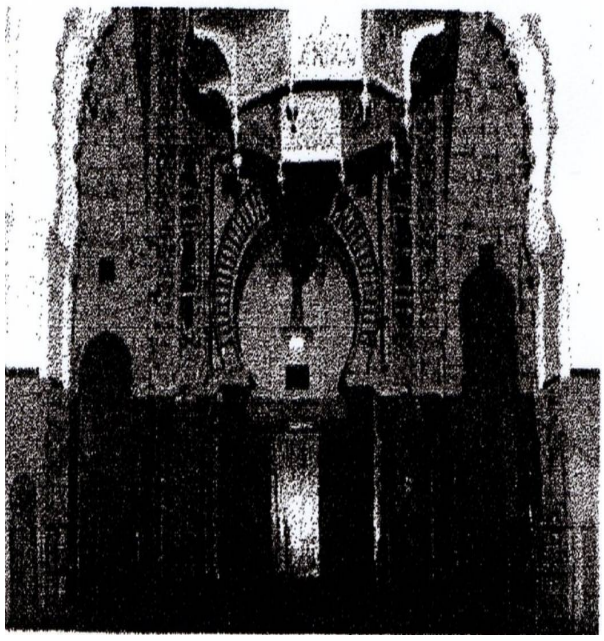

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 684.

الملحق رقم:22

جامع باب دكالة

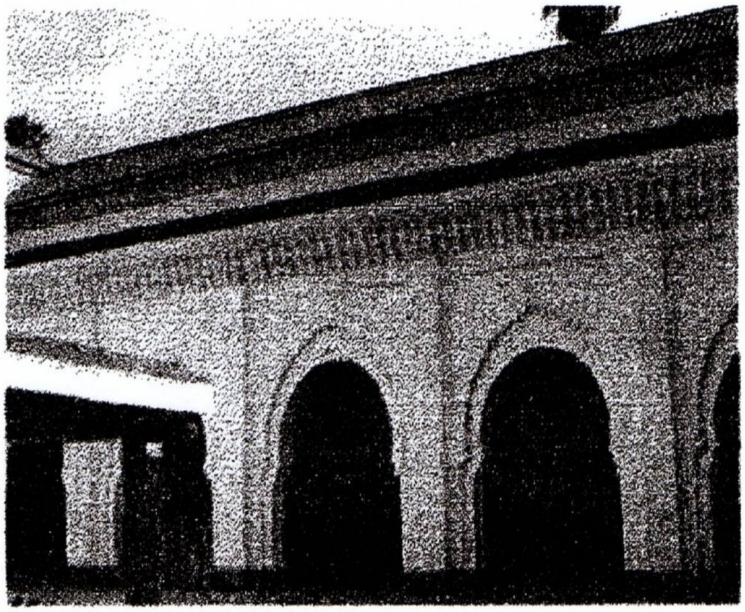

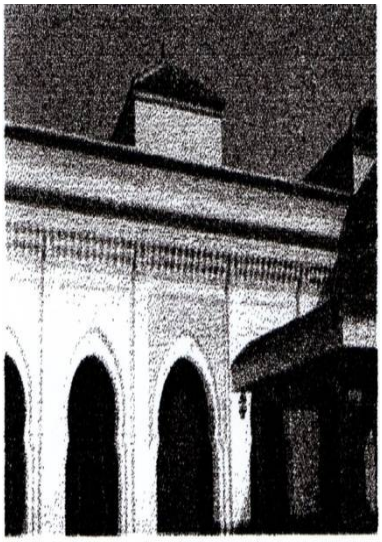

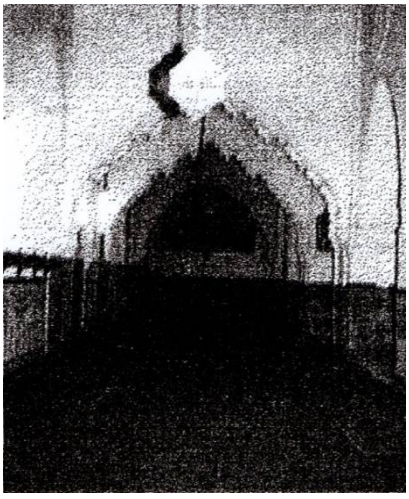

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 679.

الملحق رقم: 23

مدخل و صحن جامع مواسين

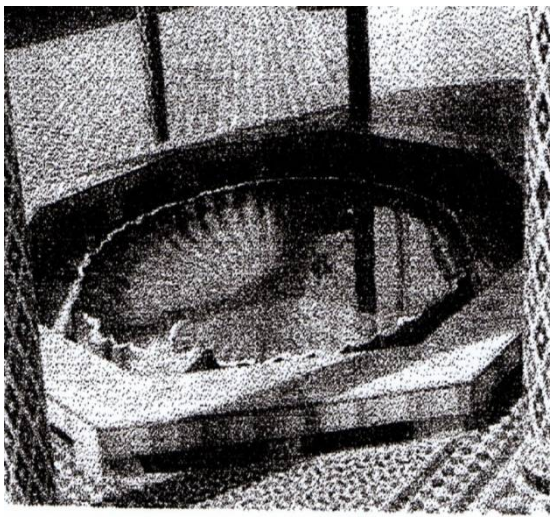

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 682.

الملحق رقم: 24.

الجامع الكبير بتارودانت

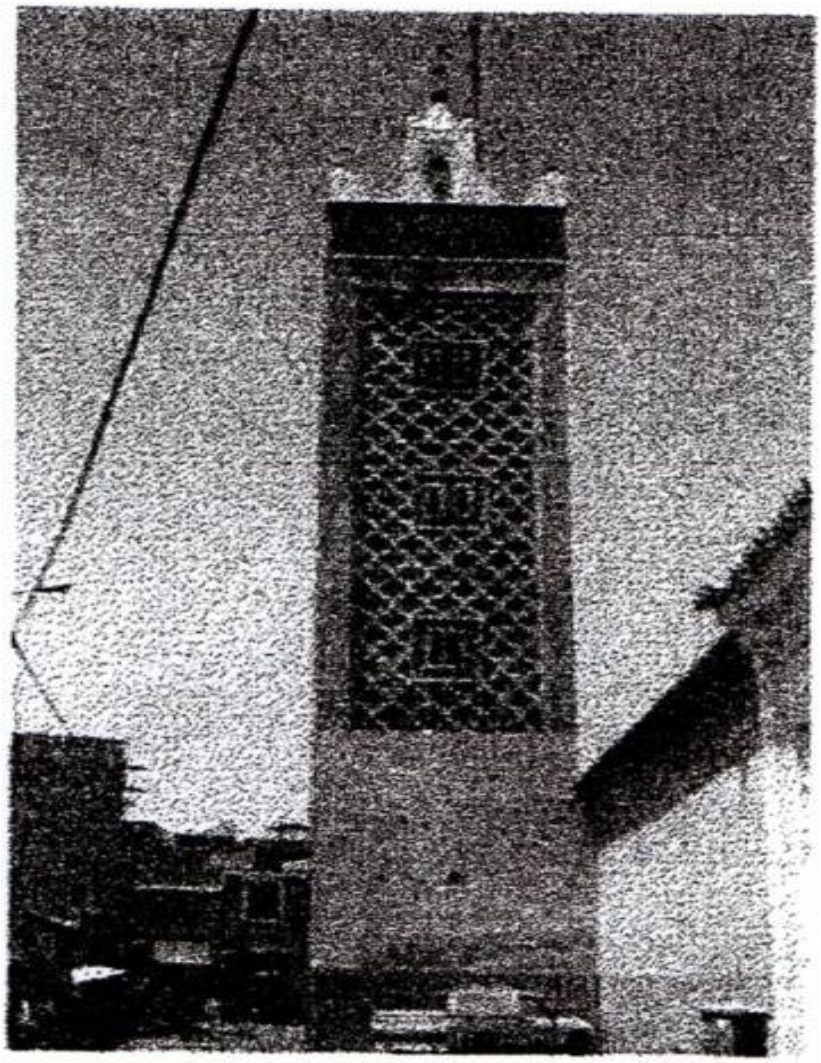

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 678.

الملحق رقم:25

الجامع الكبير بتارودانت

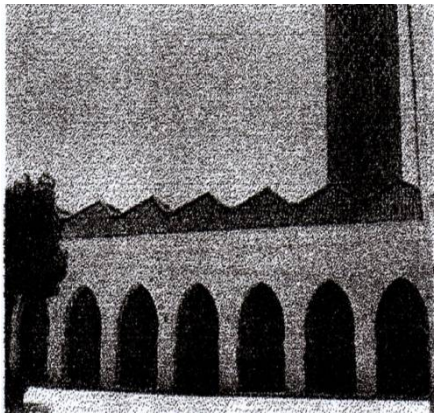

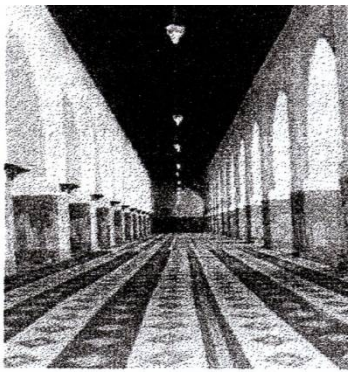

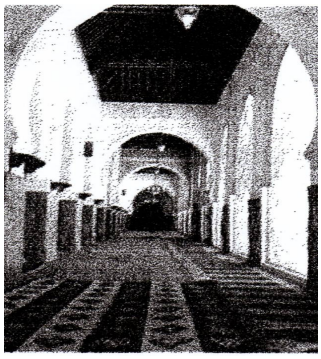

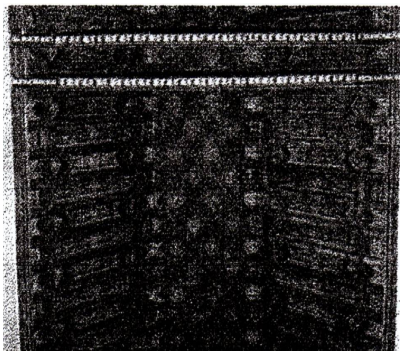

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 676.

الملحق رقم: 26

المغرب الأقصى في العهد السعدي

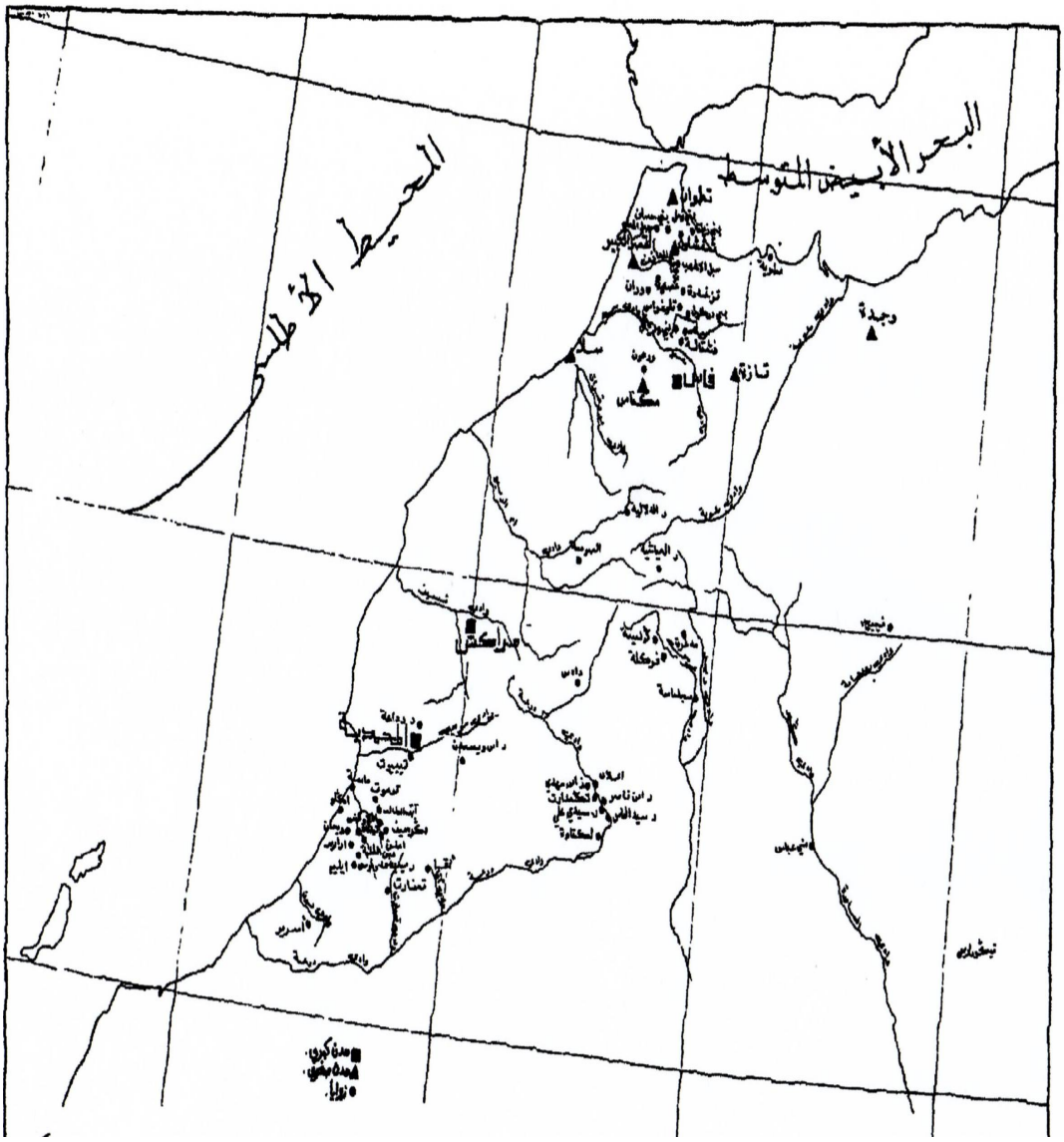

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 620.

الملحق رقم: 27

الزاوية الجازولية بمراكش

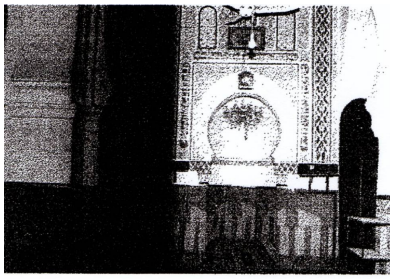

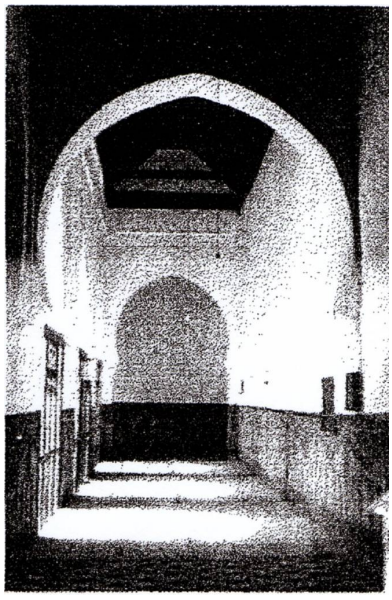

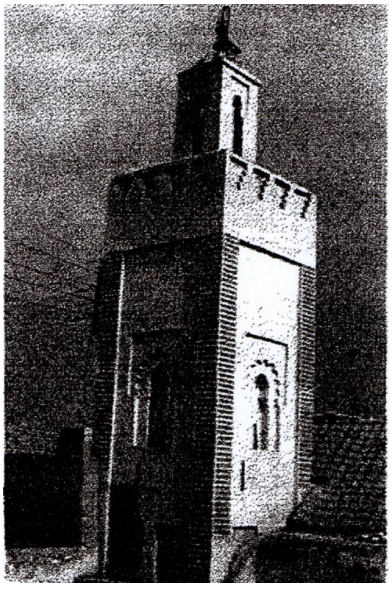

محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 699.

فهرس الأعلام

ابن أبي زرع 27-117-118

أحمد بابا التنبكتي 147-170-173-183

ابن فرحون 152

أبو العباس أحمد المنصور الذهبي 80-170-171-175-176-179-181

أحمد بن القاضي 80-173-174-177

محمد الشيخ 53-56-77-103-106-124-143-145-146-181

أحمد بن محمد المقري 74-80-130-142-154-171-172- 174

المهدي بن تومرت 10-37

فرناندو الثالث 12-17

يوسف المنتصر 14-15-23

ابن خلدون 29-118-119

أبا محمد بن عبد المؤمن 15

عبد الله يعقوب بن المنصور 14-15

أبي دبوس 19-44-46-48-49

يغمراسن بن زيان 20-36-37-38-43
محمد بن يوسف الأحمر 22-43
ألفونسو الثاني 23
عبد الحق المريني 28-31-32-33-34-39-118
عبد المؤمن بن علي 30-32-62-83
تاشفين بن علي 30
أبو سعيد عثمان 34-35-88
الرشيد الموحدي 36
ابن واندوين 32
أبي مدين 41
محمد القائم 53-55-75-123
محمد الشيخ السعدي 56-111
أحمد الأعرج 56-123-125
القابسي 58
أبو عنان المريني 59-62-64-92-100-116-118

علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي 61-151

البراذعي 61-100

عبد الله الغالب بالله 67-104-105-106-108-135-142

محمد بن يوسف الترغي 67

علي السلاسي 68-112

محمد بن أبي بكر الدلائي 69-130-171

جورج مارسيه 70

القباب 152-153-154-168

مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورزازاتي 72-73-107

ابن الوقاد التلمساني 76

أبي العباس السبتي 78-79-109-119-143

أبو الحسن المريني 84-88-89-90-93-95-154-168-187

ابن الخطيب السلماني 93

أحمد بن عاشر الأندلسي 94

أبي النعيم 112-99

القاضي عياض 172

الحسن الوزان 105-100

ابن بطوطة 104-103

أحمد بن علي المنجور 183-173-164-113-111

ابن مرزوق الخطيب 162-154-118-115-29

محمد بن سليمان الجزولي -128-125-124-123-122
137

أبو عبد الله المسناوي 130-124

محمد بن سعيد الدلائي 127

عبد العزيز بن عبد الحق التباع 128-117

أبو بركات التيدسي 133-132-131-130

حسين الشوشاوي 131

ابن غازي -164-162-157-132-97
183-172

أحمد بن يحي الونشريسي 168-165-160-143-132-64

محمد بن أبي بكر العياشي	135-136
أحمد أدفال الدرعي	110-136
محمد بن ناصر	139-144
الفشتالي عبد العزيز	146-173
الحبّاك	157-164
أبو زكرياء السراج	161-164
ابن البّناء المراكشي	63-165-166
محمد بن قاسم القصار	112-129-169

فهرس الأماكن

الأندلس 10-19-22-23-24-25-31-43-44-90-94-160-168

المغرب الأقصى 11-22-28-49-85-115-149

إفريقية 11-21-29-37-38-39

ميورقة 11-24

بجاية 11-30-120-154

قشتالة 12-17-22

سبتة 61-83-102-122-159

مالقة 15-96-162

جيان 13-15-16-23

بلنسية 15-16-23-24

مراكش 85-86-87-88-89-90-91-124

جبل تينمل 18-30

سوس 27-52-54-77-78-122-130-132-133-134-139-141-176

تارودانت 20-53-75-76-77-111-134-143-174

بالمغرب الأوسط 86-31-21

تلمسان 171-91-47-39-31-30

قرطبة 66-24-23-15

السودان 183-170-28

فاس 184-169-163-150-129-116-85-80-68-64-60-59-56-47-39-35-32-19-10

تازا 41-39-33

مكناسة 154-120-118-38-34

وادي أم الربيع 127-56-50-46-44

تادلا 129-127-126-56-45

أزمور 172-102-45

شفشاون 51

تيدسي 181-133-132-131-130-122

تافيلالت 143-139-64-56-54

سلا 117-116-95-94-92-60

وجدة 66

الصويرة 75

أغادير 75

الرباط 39-76-182

سجلماسة 29

شالة 93-116

طنجة 13-102

آسفي 102-116

تمصلحوت 122-134-135

تكمدارت 137

تمكروت 137-138-140-144

البيبليوغرافيا

المخطوطات:

1- ابن عسكر محمد لم علي، دوحة الناشر في ذكر مشايخ القرن العاشر، مخطوط، المكتبة الوطنية، الرباط رقم د.2769.

2- القادري محمد الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، مخطوط، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم د.2809

المصادر :

1- ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1286 هـ .

2- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

3- (ـــــ ـــــــ) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

4- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط 1962.

5- ابن الحاج العبدري، المدخل، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة (د.ت)

6- ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة 1956 .

7- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997

8- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، دار التراث ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، تونس 1970 .

9- (ـــــ ـــــــ) ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من العلماء مدينة فاس دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1973

10- (ـــــ ـــــــ) ، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، تحقيق محمد رزوق ، مكتبة المعارف ، الرباط 1986 .

11- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان و مصطفى القصاص، ج2، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت 1987

12- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المطبعة المصرية ، بولاق 1284 هـ .

13- (ـــــ ـــــــ)، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 2007.

14- ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير فونطانا ، الجزائر 1903 .

15- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1996 .

16- (ـــــ ـــــ) ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1982

17- ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1965

18- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981 .

19- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجي ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981

20- الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2 ، ط2، عالم الكتب ، بيروت 1989 .

21- الافراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998.

22- (ـــــ ـــــــ) ، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء 2004 .

23- التمكروتي علي بن محمد ، النفحة المسكينة في السفارة التركية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 2002 .

24- التمنارتي أبي زيد عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، تحقيق اليزيد الراضي ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت 2007

25- التنبكتي أحمد بابا ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، تحقيق محمد مطيع، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية 2000

26- (ـــــ ـــــــ)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004 .

27- توريس دييكودي ، تاريخ الشرفاء ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، الدارس للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء 1988

28- الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط 1991 .

29- الحضيكي محمد بن أحمد ، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد يوفركو،ج1،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006

30- الحميري محمد بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تعليق إ.ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت 1988 .

31- (ـــــ ـــــــ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ، لبنان 1975 .

32- الخياط عبد السلام بن محمد القادري، مختصر تاريخ الشرفاء، تحقيق عبد السلام المنصوري، دار الأمان، الرباط 2012 .

33- رسائل سعدية، تحقيق عبد الله كنون، دار الطباعة المغربية، تطوان 1954 .

34- الرسموكي ، وفيات الرسموكي ، تحقيق محمد المختار السوسي ، ط1 ، مطبعة الساحل ، الرباط 1988

35- الزركشي محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966 .

36- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، الرباط 1983 .

37- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله ، تاريخ السودان ، وقف على طبعه هوداس ، مكتبة أمريكا والشرق ، باريس 1981 .

38- السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج1، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1993 .

39- الفشتالي عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، الرباط (د ت)

40- القابسي أبو الحسن علي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين، تحقيق أحمد خالد،ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس (دت)

41- القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس، مكتبة أمريكا و الشرق، باريس 1981 .

42- القلقشندي ، صبح الاعشى ، الجزء الخامس ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1922، ص 194 .

43- مارمول كربخال ، إفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984 .

44- المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1983 .

45- المراكشي محي الدين عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان و محمد العلمي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة 1949 .

46- المقري أحمد بن محمد ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1983 .

47- (ـــــ ـــــــ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988.

48- مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1986 .

49- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الرشاد ، الدار البيضاء 1979 .

50- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمادراتية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تينمل للطباعة و النشر، مراكش 1994 .

51- المنجور أحمد ، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط 1976 .

52- الناصري أحمد أبو العباس السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 .

53- النميري ابن الحاج، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيد إلى قسنطينة و الزاب، تحقيق محمد بن شقرون، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1990 .

54- الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1983 .

55- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، تحقيق محمد حجي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981 .

المراجع :

1- باللغة العربية :

1- ابن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1985 .

2- أبو رحاب محمد السيد محمد، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الاشراف السعديين، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة 2008 .

3- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 .

4- أسكان الحسين ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 2004 .

5- إسماعيل عثمان عثمان ، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، ج5 ، ط1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1993

6- بالنثيا أنخيل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د ت) .

7- بن قربة صالح ، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986

8- بنبين أحمد شوقي، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، الطبعة الأولى، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش 2003 .

9- بنعلة مصطفى، مجموعة ظهائر و رسائل السعديين، الجزء لأول، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية ، القنيطرة 2011 .

10- التازي عبد الهادي ، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط 2000

11- جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر، (د م) 1969 .

12- الحاجي عبد الله، الدولة السعدية آليات التطور و مظاهر التدهور، مكتبة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2013 .

13- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة 1978 .

14- (ـــــ ـــــ) ، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط 1964 .

15- حركات إبراهيم ، السياسة و المجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1987

16- (ـــــ ـــــ) ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1978

17- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت 1987 .

18- سالم عبد العزيز ، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت 1981 .

19- السوسي محمد المختار ، خلال جزولة ، المطبعة المهدية ، تطوان (دت)

20- (ـــــ ـــــ) ، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية 1960، ص173.

21- (ـــــ ـــــ) ، مدارس سوس العتيقة،ط1، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر ، طنجة 1987.

22- عنان محمد عبد الله ، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997 .

23- (ـــــ ـــــــ) ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين، الجزء الرابع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002 .

24- كريم عبد الكريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، ط 3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط 2006

25- لوتورنو روجيه ، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت 1967 .

26- المنوني محمد ، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء 1989

27- (ـــــ ـــــــ) ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ط3 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2000 .

28- الشاهري مزاحم علاوي ، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب، دار الكتاب الأكاديمي، عمان، 2012، ص175.

29- مؤنس حسين، تاريخ المغرب و حضارته، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1996 .

30- الناصري محمد عبد السلام ، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا ، بالزاوية الناصرية، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 .

2- باللغة الأجنبية :

1 - Abdallah Laraoui, The history of the maghrib, pinceton university, new jersey 1977 .

2 - Atallah Dhina, les états de l’occident musulman aux 13,14,15 siècle, opu-enal, alger 1984 .

3 - Jean Brignon, Abdelazize Amine et autres, Histoire du Maroc, librairie nationale, Casablanca 1967 .

4 - Marçais, (G), L'architecture musulmane d'occident, Paris 1955.

5 - Michel Abitbol, Histoire du Maroc , éditions Perrin , 2014

6 - Akhmisse Mustapha, Histoire de la médicine au Maroc , des origines a l'avènement du protectorat , Impr. Eddar el beida, Casablanca 1991

الرسائل و الأطروحات الجامعية :

1- بلامين عبد العلي، بغية السائلين عن عالم القرويين في عصر بني مرين، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 2006 .

2- بكاي هوارية، العلاقات السياسية و الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ ، تلمسان 2008 .

3- لقريز العربي، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية و فنية)، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان 2001.

4- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، مذكرة ماجستير، جامعة الموصل 2004.

المجلات و الدوريات :

1. اسماعيل عثمان عثمان ، تصويبات لبعض الأخطاء بالمدرسة البوعنانية ، دعوة الحق ، ع 7 ، السنة 21 ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، نوفمبر 1980 .

2. السلاوي محمد بن محمد بن علي الدكالي، تاريخ المدرسة المرينية بطلعة سلا، تحقيق عبد العزيز الساوري، دعوة الحق، العدد 293، السنة 33، مطبعة فضالة ، المحمدية أكتوبر 1992 .

3. بن تاويت الطنجي محمد ، بلغة الأمنية و مقصد اللبيب فيمن كان بسبتة بالدولة المرينية من مدرس و أستاذ و طبيب، مجلة تطوان ، العدد 9 ، معهد مولاي الحسن ، تطوان 1964 .

4. حجّي محمد، سيدي الإمام السلاوي 788هـ/1376م، مجلة أبو رقراق، جمعية أبي رقراق، العدد التاسع ، سلا سبتمبر 1991 .

5. العلمي حمدان محمد ، أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، مجلة دعوة الحق ، العدد 169 ، السنة 17 ، مطبعة فضالة ، المحمدية جويلية 1976 .

6. السقاط عبد الجواد، الزاوية المغربية في العصر السعدي القسم الأول، مجلة دعوة الحق، العدد 274، السنة الثلاثون ، مطبعة فضالة، المحمدية أفريل 1989.

7. (ـــــ ـــــ)، الزاوية المغربية في العصر السعدي القسم الثاني، مجلة دعوة الحق، العدد 30، مطبعة فضالة، المحمدية 1981 .

8. الدكالي محمد بن محمد بن علي ، تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا، تحقيق عبد العزيز الساوري، مجلة دعوة الحق، العدد 293، السنة 33، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط 1992 .

9. الحمداوي محمد ، من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية، مجلة دعوة الحق، العدد 1 ، السنة السادسة، مطبعة فضالة، المحمدية 1962.

10. محمد المنوني، الخزائن العلمية بمدينة تارودانت و ما إليها، مجلة دراسات، العدد 7، كلية الآداب و العلوم الانسانية، أكادير 1995 .

11. (ـــــ ـــــ)، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد4، السنة 9، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، فيفري 1966

12. متفكر أحمد ، جامع الشرفاء بمراكش، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 8 ، مطبعة إدويسعدن ، مراكش 1992.

13. حجي محمد ، المؤسسات الدينية بالمغرب، مجلة المناهل، العدد 18، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، يوليو 1980 .

14. المسلوتي مصطفى بن عمر ، الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10 و 11 الهجريين، مجلة دعوة الحق، العدد 325، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط 1997 .

الفـــــهرس

الفهـــــــــــــــرس

مقدمة	أ
مدخل	10
الفصل الأول: الأوضاع السياسية في الدولتين.	
المبحث الأول: أوضاع الدولة المرينية.	27
1. نسبهم و موطنهم.	27
2. بداية ظهورهم :	29
3- قيام الدولة المرينية:	32
3. توسعات بني مرين :	42
المبحث الثاني : الحياة السياسية في الدولة السعدية	49
1- ضعف حكم الوطاسيين:	50
2- أوضاع منطقة سوس:	52
3- أصل السعديين:	53
4- الأسس التي قامت عليها الدولة السعدية:	54
الفصل الثاني: المساجد و الكتاتيب في الدولتين.	

المبحث الأول : الدولة المرينية	58
1- الكتاتيب .	58
2- المساجد.	60
1.2- الجامع الكبير بتازا :	62
2.2- الجامع الكبير بفاس :	63
3.2- جامع الحمراء :	64
4.2- جامع الزهر بفاس الجديد :	64
5.2- جامع الشرابليين بفاس الجديد :	64
6.2- جامع أبي حسّان بفاس الجديد :	65
7.2- المسجد الكبير بوجدة :	66
المبحث الثاني : الدولة السعدية	67
1- الكتاتيب.	67
2- المساجد:	69
1.2-جامع المواسين بمراكش :	70

2.2-المسجد الجامع باب دكالة :	72
3.2- الجامع الكبير بتارودانت:	75
4.2-جامع أبي العباس السبتي بمراكش :	78
5.2 - جامع الفنا:	80
6.2 - توسعة جامع القرويين بفاس:	80
الفصل الثالث: المدارس في الدولتين.	
المبحث الأول : الدولة المرينية	83
1.1- مدرسة الصفارين :	86
2.1- مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن :	87
3.1 - مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى :	88
4.1- مدرسة السبعين :	89
5.1- مدرسة العطّارين بفاس :	90
6.1- المدرسة المصباحية بفاس:	90
7.1- المدرسة البوعنانية بمكناس:	91
8.1- المدرسة البوعنانية بفاس.	92
9.1- مدرسة أبي الحسن - سلا .	92

2 - الكراسي العلمية.	99
المبحث الثاني : الدولة السعدية	101
1 – المدارس :	101
1 - مدرسة ابن يوسف بمراكش (الغالبية):	103
2- مدرسة جامع باب دكالة بمراكش:	107
3- مدرسة جامع الأشراف بمراكش:	108
4- مدرسة جامع أبي العباس السبتي:	109
2- الكراسي العلمية.	110
الفصل الرابع: الزوايا و المكتبات في الدولتين.	
المبحث الأول : الدولة المرينية	115
1 – الــزوايا:	115
2 – المكتبات :	119
المبحث الثاني : الدولة السعدية	122
1 - الـــــزوايا :	122
1.1- الزاوية الجزولية بمراكش:	124
2.1- الزاوية الدلائية:	126

3.1- زاوية أبي البركات ببتيدسي:	130
4.1- زاوية تمصلحوت:	134
5.1- الزاوية العياشية:	135
6.1- زاوية سيدي علي:	137
7.1- الزاوية الناصرية	138
2 – المكتبات :	140
الفصل الخامس: العلماء في الدولتين.	
المبحث الأول: الدولة المرينية.	149
1- العلوم الدينية:	150
2- العلوم الأدبية:	161
3- العلوم العقلية:	165
المبحث الثاني : الدولة السعدية.	169
1- العلوم الدينية:	169
2- العلوم الأدبية:	173
3-العلوم العقلية :	175
خاتمة.	179

الملاحق.	186
فهرس الأعلام.	214
فهرس الأماكن.	220
البيبليوغرافيا.	224
الفهرس	240

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع المؤسسات العلمية في الدولة المرينية و السعدية ، أول هذه المؤسسات المساجد التي تعتبر المرحلة الأولى للتعليم ، ثم المدارس التي ظهرت ببلاد المغرب خلال العهد الموحدي ، لتعرف في العهد المريني تطورا كبيرا ، ثم الزوايا التي تحولت من مراكز للمرابطة في سبيل الله إلى أماكن لنشر العلم خاصة في عهد السعديين ، و أخيرا المكتبات التي ضمت في رفوفها أهم الكتب في مختلف العلوم ، كل هذه المؤسسات عرفت في العصر المريني و السعدي اهتماما و عناية من قبل السلاطين ، و حتى العلماء مما ساهم في بروز حركة علمية نشيطة ، كما تطرقنا في هذا البحث إلى العلماء الذين ساهموا في التدريس بهذه المؤسسات العلمية .

الكلمات المفتاحية : المساجد ، المدارس ، الزوايا ، الدولة المرينية ، الدولة السعدية

Résumé :

Cette étude porte sur le sujet des institutions scientifiques dans l'état Mérinide et Saadienne , la première de ces institutions, les mosquées qui sont les premières étapes de l'éducation et les écoles qui ont émergé au Maghreb à l'époque Almowahadine.

Cette dernière a connu un grand développement à l'époque Mérinide puis les Zaouaya qui ont transformé de contres attachés dans la voie d'Allah à des endroits pours diffusion de science surtout à l'époque des Sadiens et enfin les bibliothèques incluses les plus importants livres dans divers domaines de la science.

Toutes ces institutions ont connu dans l'âge Mérinide et Saadienne préoccupation et soin par les sultans et même les scientifiques qui ont contribué à l'émergence d'un mouvement scientifiques qui ont contribué à l'enseignement de ces institutions scientifique.

Mots-clés: Mosquées, Ecoles, Zaouaya , Etat Mérinide, Etat Saadienne

Abstract :

This study focuses on the subject of scientific institutions in the state Mérinide and Saadienne , the first of this institutions, the mosques that are the first stages of education and the schools that emerged in the Maghreb at the time Almowahadine.

This last one knew a great development at the time Merinide then the Zaouaya which transformed of counters attached in the way of Allah to places for diffusion of science especially at the time of the Saadienne and finally the libraries included the most important books in various fields of science.

All these institutions have known in the Almareni and Saadi age concern and care by the sultans and even the scientists who contributed to the emergence of a scientific movement that contributed to the teaching of these scientific institutions

Keywords : Mosques, Schools, Zaouaya , Merinid State, Saadienne State